المشرق

السنة الثامنة والاربعون | تشرين الثاني - كانون الاول ١٩٥٤

صحف الكتابة وصناعة الورق في الاسلام (تابع)

بقلم حبيب زيات ✝

١٨ — الورق الخراساني

عند ابن النديم ان الورق الخراساني كان يعمل من الكتان[١] ولا نخال ان هذا الرأي كان صحيحاً باجماله لان خراسان كانت اكثر الامصار قطناً ولذلك قال الجاحظ: «قد علم الناس ان القطن لخراسان وان الكتان لمصر ثم للناس من ذلك في تفاريق البلدان ما لا يبلغ مقداره في بعض هذين الموضعين»[٢] وكانت نيسابور وحدها تنسج من القطن من الثياب «ما ينقل الى سائر بلاد الاسلام وبعض بلاد الشرك لكثرتها وجودتها»[٣] وكان في مرو ايضاً القطن اللين والثياب التي تجهز الى الآفاق[٤] فمن الغريب جداً ان لا يكون

---

١) الفهرست ٣٢

٢) لطائف المعارف للثعالبي ليدن ٩٧

٣) مسالك الممالك للاصطخري ٢٥٥-٢٥٦

٤) مسالك الممالك ٢٦٣

احد من الوراقين تنبه لاصطناع الورق من خرق القطن على كثرتها عندهم ورخصها.

ولا نعلم بالضبط اي المدن في خراسان كانت متخصصة بعمل الورق وقد نُصّ منها على جيهان واليها ينسب الورق الجيهاني. روى ياقوت قول محدثٍ هَرَويّ: كتب لي ابو الفضل بن ابي سعد بخط يده طبقاً من حديثه على الورق الجيهاني الكبير[1].

ولا يبعد ايضاً ان صناعة الورق كانت شائعة في نيسابور وقد تقدم ذكر بعض من كان مشهوراً بالكاغدي من اهل نيسابور. ومن المدن التي أُطلق عليها بالفارسية اسم صناعة الورق الخراساني خَوَنج من اعمال اذربيجان قال ياقوت. تسمّى الآن «كاغذ كنان» اي صنّاع الكاغد[2].

.. واكثر ما كان ينسب الورق الى امراء خراسان وولاتها وعدّ ابن النديم من انواعه: السليماني والطلحي والنوحي والفرعوني والجعفري والطاهري[3].

وكان السليماني اول ما عرف منها وهو منسوب فيما يظهر الى سليمان بن راشد كان يلي الخراج في خراسان في خلافة هرون الرشيد[4] وكان الوراقون والنساخ يرغبونه لنسخ الكتب وهي تعرف احياناً بذكر عدد اوراقها كقول ابن النديم: المرزباني له من الكتب كتاب عدد ورقه عشرة آلاف بخطه في سليماني فيه اخبار الشعراء المذكورين[5] وقول ياقوت: ابو سعيد السيرافي له شرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني[6] قال ابن النديم: وانما يعنون بالورقة ان تكون سليمانية ومقدار ما فيها عشرون سطراً في صفحة الورقة[7].

وهذا التنبيه جليل الفائدة. وفي بعض الاقوال ان الصحيفة السليمانية كانت قريباً من ٣٢ سنتمتراً طولاً و٢٤ عرضاً. وممن اشار الى عرضها هلال

---

١) معجم البلدان ٢: ٩٥

٢) معجم البلدان ٢: ٥٠

٣) الفهرست ٣٢

٤) تاريخ الطبري مطبعة الاستقامة القاهرة ٦: ٥٢٩

٥) الفهرست ١٩

٦) ارشاد الاريب ٨٧

٧) الفهرست ٢٢٧

بن المحسّن الصابئ في كلامه على الكتب السلطانية قال :

« الذي جرت به العادة القديمة في الكتب السلطانية ان تكون في القراطيس المصرية العريضة فلما انقطع عملها وتعذّر وجودها عُدل الى الكاغد السليماني(١ العريض هذا في كتب العهود والولايات والالقاب وما يكتب به الى اصحاب الاطراف وما يكتبون به . فاما ما يجري من الخليفة مجرى التوقيع من وزيره المقيم بحضرته مجرى المطالعة فالمستحب فيه الكاغد النصفي »(٢ .

ويغلب على الظن انه اراد بالكاغد النصفي الورق الطلحي نسبة الى طلحة بن طاهر امير خراسان اقام واليًا عليها في ايام المأمون سبع سنين(٣ . وكان الطلحي اكثر ما يتخذ انصافاً لكتابة الاجزاء . قال ابن النديم « الذي رأيت من شعر ابي العتاهية بالموصل نيف وعشرون جزءًا انصاف الطلحي »(٤ . ورأى ايضاً كتاب القبائل الكبيرة والايام لمحمد بن حبيب في طلحي نيف وعشرين جزءًا في كل جزء مائتا ورقة واكثر ولهذه النسخة فهرست لما يحتويه القبائل والايام في طلحي نحو خمسة عشر ورقاً »(٥ .

ولا يخفى ان لفظ الطلحية للدرج من الورق آتٍ من قطع الطلحي قديماً . ويراد بالدرج قطع طويل من الورق يكتب فيه ويُلفّ . ويظهر انه كان يسمّى ايضاً بالطَبَق . وقد وردت هذه التسمية في بعض الاقوال القديمة ومنها قول السمعاني في كلامه على قصيدة ابن دريد المشهورة :

« اما ترَي رأسي حاكى لونه طرة صبح تحت اذيال الدجى»

سمعت ابا العباس بن ميكال يذكر صلة ابيه للدُريدي في انشائه القصيدة قال لم تصل يدي اذ ذاك الا الى ثلثمائة دينار صببتها في طبق كاغد ووضعتها بين يديه »(٦ .

وكان الدرج لا يكفي الكتابة احياناً كثيرة في الدواوين فكانت تُلصق

---

١) في الاصل المخطوط « الكاغد الشيطاني » وهو من تحريف النساخ

٢) رسوم دار الخلافة . تحقيق ميخائيل عواد بغداد ١٧٨

٣) تاريخ الامم والملوك للطبري . مطبعة الاستقامة بالقاهرة ٧: ١٧٠

٤) الفهرست ٢٣٧

٥) ارشاد الاريب ٦: ٤٧٦ والفهرست ١٥٦

٦) انساب السمعاني ٥٥٠-٥٥١

به اوصال متعددة حسب الحاجة . وفي النثر والنظم امثال كثيرة عليه ومن لطائف السراج الوراق في التورية :

نصب الحشا غرضاً ففرطس اذ رمى وهمي القلوب سهاما الاحداق
وسألته وصلا فقال بججني يا ليت شعري من هو الوراق (١

وورد قليلا ذكر الورق الفرعوني كقول الجوزجاني عن ابن سينا :« امرني الشيخ باحضار البياض وقطع اجزاء منه فشددت خمسة اجزاء كل واحد منها عشرة اوراق بالربع الفرعوني »(٢) ويظهر ان الفرعوني كان معروفاً بسعة الطول والعرض فكان يختاره من اراد الاقتصاد والتدقيق في الكتابة كفعل اصحاب الحديث . قال صالح جزرة.« شارطت هشام بن عمار على ان اقرأ عليه كل ليلة بانتخابي ورقة فكنت آخذ الكاغد الفرعوني واكتب مقرمطاً فكان اذا جاء الليل اقرأ عليه فيقول : يا صالح ليس هذه ورقة . هذه شقة»(٣) ولابي حيان التوحيدي كلام مسوّدة مثالب الوزيرين في « دست كاغد فرعوني »(٤) . ولم نجد لاحد قولا في تعليل نسبة الفرعوني .

وكذلك اخطأنا التوفيق في ارتياد بعض شواهد الكاغد النوحي والجعفري والطاهري. والاول تترجح نسبته الى نوح بن سامان احد اميرَي الدولة السامانية المشهورة . واولى ما يبدر الى الذهن ان الجعفري قد يكون منسوباً الى جعفر بن يحيى البرمكي . ولكن من الغريب ان يعرف الكاغد باسم جعفر ويحرم منه اخوه الفضل الذي كان اول من اشار بصناعته . ولا شكّ ان الطاهري معزوّ الى الدولة الطاهرية في خراسان .

ومما يدل على قيمة الورق الطلحي انه كان يُحمل في جملة الهدايا الى الملوك قال الامير المختار المسبِّحي:« في يوم الاثنين ثمان من صفر (سنة٤١٥ــ ١٠٢٤) اهدى الرسول العجمي المقدم ذكره الى الحضرة المطهَّرة نحو الخمس عشرة ناقة محملة ورقاً طلحياً واهليلجاً وغير ذلك »(٥) .

١) خزانة الادب لابن حجة الحموي طبعة القاهرة ١٣٠٤ ص ٢٤٥
٢) عيون الانباء لابن ابي اصيبعة ٢ : ٨ وتاريخ حكماء الاسلام للبيهقي ٦٦
٣) تاريخ بغداد للخطيب ٩ : ٣٢٦
٤) الامتاع والمؤانسة طبعة القاهرة سنة ١٩٣٩ ج ١ : ٦١
٥) جزء من اخبار مصر وفضائلها ومحاسنها وطرائفها وعجائبها تصنيف الامير المختار

وكانت هذه الكواغد الخراسانية لاتساع مقاييسها تجزأ ايضاً الى اثمان فضلاً عن الاسداس . ومن شواهد الاثمان قول الخطيب البغدادي :« كان الحافظ الصوري دقيق الخط صحيح النقل . حدثني انه كان يكتب في الوجهة من ثُمن الكاغد الخراساني ثمانين سطراً »[1] . لا شك بخط مقرمط كخط المحدثين . ومنها ايضاً قول ابي عبيد الجوزجاني في كلامه على كتاب الشفاء لابن سينا :« كتب الشيخ في قريب من عشرين جزءاً على الثُمن بخطه رؤوس المسائل »[2] .

١٩ ــ الورق البغدادي

وصف القلقشندي الورق البغدادي فقال :

« هو ورق ثخين مع ليونته ورقة حاشيته وتناسب اجزائه ولا يكتب فيه في الغالب الا المصاحف الشريفة[3] . وفيه كانت تكتب خصوصاً عهود الخلفاء . وبيعاتهم وعهود اكابر الملوك والمكاتبات الى الطبقات العليا من الملوك كاكابر القانات من ملوك الشرق[4] وكانت قاعدة ديوان الانشاء انه كلما كبر قطع الورق في المكاتبات كان تعظيماً للمكتوب اليه بدليل ان كل من عظم مقداره من الملوك كان قطع الورق في مكاتبته اكبر[5] » .

قال : وكان الورق البغدادي على قطعين : كامل وناقص . وفي الكامل تكتب الكتابات السلطانية من العهود ومراسلات الملوك والدرج منه مركب من عدة اوصال وهو في عرف الزمان عبارة عن عشرين وصلاً متلاصقة لا غير[6] . وكانت اوصال الورق في الزمن المتقدم طويلة فكان يكتب في كل وصل

عبد الملك محمد بن عبيد الله بن احمد بن اسماعيل بن عبد العزيز المسبّحي رقم ٥٣٤ من خزانة الاسكريال في اسبانية ١٤٨

١) تذكرة الحفاظ للذهبي ٣: ٢٩٤

٢) عيون الانباء ٢: ٦

٣) صبح الاعشى ٢: ٤٧٦

٤) « « ١٩٠:٦

٥) « « ١٥٥:١

٦) « « ١٣٨:١

ثلاثة اسطر وبين كل سطرين اكثر من عرض ثلاثة اصابع ثم قصرت الاوصال وصار كل وصل لا يسع في الغالب اكثر من سطرين[١] وطول كل وصل من الدرج المذكور ذراع ونصف بذراع القماش المصري[٢] .

وهذه الاقيسة والمقادير هي التي استقر عليها مصطلح الديوان الشريف في مصر في المئة الثامنة للهجرة في ايام القلقشندي . ويؤخذ من كلام الصابئ ان طول الوصل في القرن الثالث كان ثلاثين ذراعا اي طول الدرج في عهد المماليك قال : استدعى ابو الحسن بن الفرات في بعض الايام ابا علي بن مقلة وابا عبدالله والد ابي القاسم بن زنجي وقال لابي علي : استدع قرطاساً يكتب فيه فاحضر صاحب الدواة ثلث القرطاس ... واستدعى ابو علي ثلثاً آخر واستتم الامر فيه وفي ما اراد خطابه في معانيه فكان ذرع الثلثين اللذين كتب فيها نحو ستين ذراعاً[٣] .

واما عرض الدرج الكامل فقد ذكر القلقشندي مرة انه ذراع واحد بذراع القماش المصري[٤] ومرة اخرى انه ثلاثة اشبار وخمسة اصابع وطول الوصل كذلك[٥] .

« وكان عرض الدرج البغدادي الناقص دون عرض البغدادي الكامل باربعة اصابع مطبوقة وفيه يكتب للطبقة الثانية من الملوك وربما كتب فيه للطبقة العليا لاعواز البغدادي الكامل[٦] » ولم يذكر ما كان طوله وانما سمي الناقص لانه كان دون الكامل وهو المعول عليه في المكاتبات والمعاملات والمعني دائماً في كتب المصطلح الشريف بقولهم « قطع العادة » .

ويترجح انه كان للورق البغدادي انواع كما كان للخراساني ومنها نوع كان يقال له « المأموني » لعله نسب الى الخليفة العباسي المأمون ان لم يكن

١) صبح الاعشى ٧ : ٢١٧
٢) « « ٦ : ١٩٠
٣) تاريخ الوزراء ٢٣٩
٤) صبح الاعشى ٦ : ١٩٠
٥) « « ١٠ : ١٥٣
٦) صبح الاعشى ٦ : ١٩٠

لمقترح له بهذا الاسم من الوراقين في الاعصر الاولى قال ياقوت: كان ابو الحسن بن طباطبا مشتاقاً الى عبدالله بن المعتز متمنيا ان يلقاه او يرى شعره ... وقد حملت الى بغداد نسخة من شعر عبد الله بن المعتز فاستعارها ... وتمكن من النظر فيها وخرج وطلب محبرة وكاغدا واخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطعات من الشعر حتى فرغ من نسخها وملأ منها خمس ورقات من نصف المأموني وأحصيت الابيات فبلغ عددها مئة وسبعة وثمانين بيتاً تحفظها من شعر ابن المعتز في ذلك المجلس[1]». ولايخفى ما في هذا الحفظ من الغرابة واذا صح وزال كل ارتياب فيه يكون كل نصف من المأموني اتسع لما ينيف قليلًا عن ٣٧ سطرًا وهو دليل على سعة قياس هذا النوع من الكاغد.

ولم يتفق مرة لاحد كتاب المصطلح الشريف في كلامهم على انواع الورق المستعمل في دواوين الانشاء، وذكر قطعه واقيسته ان يشيروا الى اوزان الدروج منه لنعلم منها مقدار ثخانته او رقته. وكان يعمل منه في بغداد نوع غليظ يبلغ احيانًا ثلاث مرار او اربعاً سمك الورق العادي لان بعض النقلة والنساخ كانوا يختارونه لطول بقائه على الدهر وهو الورق الذي كان يكتب فيه حنين بن اسحق العبادي ما استخرجه من مؤلفات اليونان. قال: «كنت اذا نقلت لاحدهم كتاباً اخذت منه وزنه دراهم» وكان المأمون يعطيه من الذهب زنة ما ينقله من الكتب الى العربي مثلًا بمثل[2] وقد وُفِّق ابن ابي اصيبعة في ايامه للحصول على بعض هذه المخطوطات القديمة ووصفها بقوله: هي مكتوبة بولد الكوفي بخط الازرق كاتب حنين وهي حروف كبار بخط غليظ في اسطر متفرقة وورقها كل ورقة منها بغلظ ما يكون من هذه الاوراق المصنوعة وتقتنذ ثلاث ورقات او اربع وذلك في تقطيع مثل ثلث البغدادي وكان قصد حنين بذلك تعظيم حجم الكتاب وتكثير وزنه لاجل ما يُقابل به من وزنه دراهم وكان ذلك الورق يستعمله بالقصد ولا جرم ان لغلظه بقي هذه السنين المتطاولة من الزمان»[2].

وقد فاتنا ايضاً معرفة اثمان الورق البغدادي واختلافها بين ارتفاع وهبوط

---

١) ارشاد الاريب ٦: ٢٨٥

٢) عيون الانباء ١: ١٩٧

بحسب القلة والكثرة والازمنة والاحوال وقلما اشير الى رخصها وهو مـا جاء مرة في تاريخ الخطيب البغدادي في كلامه على رجال المئة الثالثة للهجرة قال : جاء صبيان الى محمد بن غالب التمتام فقالوا : يا أبا جعفر أخرج القماطر فنحن بنادرة الحديث فقال : اكتبوا — لا خيّركم الله — فاخرجوا كاغداً رثاً فقال لهم التمتام : يا بني الكاغد رخيص ببغداد فلو كتبتموه في كاغد اجود من هذا فقالوا : يا ابا جعفر انما نكتب في الكواغد على قدر الشيوخ[1] .

وكانت وفاة التمتام سنة ٢٨٣/٨٩٦ ولكن يتحصل من عدة دلائل اخرى ان الورق كان اقرب الى الغلاء لشدة الطلب له وقد سبق ان اسعاره كانت ترتفع كلما ولي ابو الحسن بن الفرات الوزارة لوفرة ما كان يهب منه كل من دخل داره . قال ابو الحسن ثابت بن سنان : انا اذكر انه كلما تقلد ابو الحسن بن الفرات الوزارة زاد سعر الثلج والشمع والقراطيس زيادة مفرطة وافرة وكان ذلك متعارفاً عند التجار[2] » . وكان معنى القراطيس وقتئذ قد بدأ يتناول كل انواع الصحف والمراد به هنا الورق المنصوري حسبما نقلناه آنفاً من قول الصابئ او الكاغد باجماله كما حكي عن المقتدر بالله انه « امر بثمن الطولوني — وكانت اليه الشرطة ببغداد — الا يكلف الناس ثمن الكاغد الذي تكتب فيه القصص وان يقوم به »[3] ويعني بالقصص هنا الرقاع او العرائض التي كانت ترفع الى ولاة الامور في حوائج المتظلمين .

وقد تقدم ان المصطلح عليه قديماً من الورق قطع الثلثين والنصف والثلث والربع والسدس واحياناً الثمن . وكان ثمن البغدادي يستعمل للنسخ بالخط الدقيق كما ذكرناه من الثمن الخراساني قال ابن اصيبعة في ترجمة شمس الدين الخسروشاهي : رأيته يوماً وقد اتى اليه بعض فقها العجم بكتاب دقيق الخط ثمن البغدادي معتزلي التقطيع »[4] وربما كتب ايضاً في قطع نصف ثمن البغدادي في الاجزاء الصغار . وممن كان شديد الرغبة فيه خصوصاً اسعد بن الياس بن

١) تاريخ بغداد ٣ : ١٤٧
٢) تاريخ بغداد لابن النجار ٢١٣١ باريس ٢٥
٣) صلة الطبري لعريب ٧١
٤) عيون الانباء ٢ : ١٧٣

المطران الرومي الملكي طبيب صلاح الدين الايوبي وكان صلاح الدين ضنيناً به يحترمه ويجله لما تحققه من علمه وحسن علاجه وما زال به حتى حمله على الاسلام واتبه موفق الدين وكان لديه عدة مقالات متفرقة في الطب ومنها جملة في مجلد واحد «فاستنسخ كلّاً منها بذاته في جزء صغير قطع نصف ثمن البغدادي بسطرة واضحة وكتب بخطه ايضاً عدة منها واجتمع عنده من تلك الاجزاء الصغار مجلدات كثيرة جداً فكان ابداً لا يفارق في كمه مجلداً يطالعه على باب دار السلطان او اين توجه . وبعد وفاته بيعت جميع كتبه ... واخرجوا من هذه الاجزاء الصغار الوفاً كثيرة اكثرها بخط ابن الجمالة وان القاضي الفاضل بعث يستعرضها فبعثوا اليه بل. خزانة صغيرة على ما وُجدت كذلك فنظر فيها ثم ردها فبلغت في المناداة ثلاثة آلاف درهم ... وحصل الاتفاق مع الورثة في بيعها انهم اطلقوا بيع كل جزء منها بدرهم فاشترى الاطباء منهم هذه الاجزاء الصغار على هذا الثمن بالعدد»[1].

وكان ببغداد سوق للصاغة تليها سوق للوراقين كبيرة وهي مجالس العلماء والشعراء.[2] وفي سنة ٢٧٦/٨٨٩ كانت حوانيت الوراقين في ربض وضاح المعروف بقصر وضاح الذي قال فيه علي بن الجهم :

سقى الله باب الكرخ من متنزّه الى قصر وضاح فبركة زلزل

قال ابن واضح المعروف باليعقوبي : اكثر من فيه في هذا الوقت الوراقون اصحاب الكتب فان به اكثر من مئة حانوت للوراقين »[3] ونقل القزويني ان بالكرخ دكاكين الكاغد والثياب الابريسمية[4] ولكن لم يدل احد على مواضع الوراقات التي سبقت القرن السابع للهجرة وقد آل امرها حينئذ ان تكون في آخر خراب بغداد بعد اجتياح التتار للمدينة . قال ياقوت في تعريفه محلة جهارسوخ اي المربعة في قبلة الحربية : خرب ما حولها من المحالّ وبقيت هي والنصرية والعتابون ودار القز متصلة بعضها ببعض كالمدينة المفردة في آخر خراب

١) عيون الانباء ٢ : ١٧٨–١٧٩
٢) مناقب بغداد لابن الجوزي ٢٦
٣) كتاب البلدان . ليدن ٢٤٥
٤) معجم البلدان ٢ : ١٦٧ و٥٢٢

بغداد يعمل في هذه الحال في ايامنا هذه الكاغد[١] .

وليس لدينا ايضاً الا لمع ضئيلة الى ما اصاب الوراقات والوراقين قبل مجيء التتار من الاضرار والخسائر في الفتن التي كانت تنتاب بغداد بين السنة والشيعة وما كانت تلتهمه النيران في كل حريق من معامل الكاغد وحوانيته واوحد ما وقفنا عليه من اخبارها قول الصولي : « في سنة ٣٣٢ (٩٤٤ م) في ذي القعدة وقع في هذا الشهر بالكرخ حريق عظيم من حد طاق التكك الى السماكين وعطف على اصحاب الكاغد واصحاب النعال»[٢] .

وفي سنة ١٣٥٦/٧٥٧ توفي حسن بك بن الحسين بن ابغا بن ايلكان السلطان الكبير الحاكم على بغداد قال الصفدي : وجرى في ايامه ببغداد الغلاء العظيم حتى أبيع الخبز على ما قيل بصنج الدراهم ونزح الناس من بغداد وعدم منها الورق وكان يجلب منها الى الشام ومصر وغيرهما »[٣] .

قال السمعاني : وقد يقال لمن يبيع الورق ببغداد الوراق ايضاً وهو اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها »[٤] . ومن نسب فيها الى بيع الكاغد او عمله : احمد بن علي الكاغدي ابو عبد الله يعرف بابن اخت علوي من اهل محلة دار القز توفي سنة ٥٤٦»[٥] (١١٥١ م) واحمد بن علي بن ابي الجود ابو العباس بن ابي الحسن القاسم الكاغدي من ساكني محلة العتابيين اخو ابي القاسم المبارك الكاغدي مات سنة ٦١٣[٦] (١٢١٦ م) والحسن بن ناصر الكاغدي وابو بكر بن عمر الكاغدي من المحدثين[٧] .

وقد تقدم من كلام القلقشندي ان الورق البغدادي كان يكتب فيه في الغالب المصاحف الشريفة ومن اشتهر بكتابتها محمد بن شريف بن يوسف الشيخ الكاتب شرف الدين المعروف بابن الوحيد صاحب الخط الفائق ... كان قد اتصل بخدمة الامير بيبرس الجاشنكير واعجبه خطه فكتب له ختمة في سبعة

١) معجم البلدان ٣ : ١٦٧ و٢٢٥
٢) كتاب الاوراق ٢٦١
٣) ذيل ابن قاضي شهبة ١٥٩٨ باريس ١٤٠
٤) كتاب الانساب ٥٧٩
٥ و٦) تاريخ بغداد للدبيثي ٢١٣٣ باريس ٣٢ و٦١
٧) تاريخ بغداد لابن النجار ٢١٣١ باريس ٣٨ و١١٦

اجزاء بلقة ذهبية في قطع البغدادي فأعطاه بيبرس الجاشنكير برسم اللبقة لا غير الفا وستمائة دينار وقيل الف واربعمائة فقيل له في ذلك فقال : متى يعود آخر مثل هذا يكتب مثل هذه الختمة »[1] .

٢٠ ــ الورق الشامي

كانت صناعة الورق في الشام قديماً اعم منها في العراق ومصر وعرف بها من مدنه :

دمشق وحماة وحلب ومنبج وطرابلس وطبرية وفي بعض الاقوال عسقلان ايضاً .

ولا يعلم بالضبط متى بدأ عمل الورق في وادي بردى ويظهر انه نقل اليها من حماة ولذلك اشتهر فيها الورق الحموي في كل زمان وقد ذكر البشاري المقدسي الورق في جملة ارتفاعات دمشق في المئة الرابعة للهجرة[2] اي في جملة ما يستخرج منها ويحمل الى الشرق واليمن والحجاز وبلاد الروم وعرف في الغرب سنة ٩٨٥ اى ٤٨٥ للهجرة ويدعى عندهم Charta Damascena ومما ساعد على انتشار هذه الصناعة في قاعدة الخلافة الاموية كثرة الانهار فيها وتعدد زراعات القنب ولا تزال اقصاب القنب ترد كل يوم الى المدينة وتباع على الافران للوقيد وتفتل من قشورها الحبال والامراس وظل الكاغد يعمل فيها الى ايام البدري في المئة التاسعة وعده بين القافات التي كانت في زمانه تحمل من دمشق الى مصر قال: وفيها تعمل صناعة القرطاس يحسن صقاله ونقي اوصاله[3] .

ويظهر انه كان دون البغدادي في الرتبة قال احد مؤرخي المصطلح الشريف في القرن التاسع :

«وهو ثلاثة انواع :

النوع الاول : الحموي وقد صار ذلك علماً عليه لانه كان مبتدأ عمله بمدينة حماة ثم نقل عمله الى مدينة دمشق واستعماله بديوان الانشاء نادر .

---

١) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردي في الجامعة العبرية في القدس مجلد مصور عن نسخة مصر ٦ : ١٦٧

٢) احسن التقاسيم ١٨١

٣) محاسن الشام ٣٦٣-٣٦٤

النوع الثاني : الورق الشامي المشهور ونسمي الفرخة منه في البلاد الشامية « طلحاً » والدست « كفة » وهو المستعمل بدواوين الممالك الشامية وبلاد المشرق واقليم اليمن والروم والاقطار الحجازية ويستعمل في الدواوين الشريفة في المربعات والتذاكر والقوائم وبديوان الانشاء في الدفتر خاصة وربما استعمل بالديوان في المكاتبات والولايات ولا يكون ذلك الا في السفر في الركاب الشريف عند عدم الورق المصري ويستأذن كاتم السر السلطان على استعماله بديوان الانشاء ويأخذ بالاذن له مرسوماً شريفاً ربما لان الورق المصري له مهابة عند جميع الملوك والممالك ويختص بالكتابة بالورق الاحمر الواردة على الابواب الشريفة كافل السلطنة الشريفة بالشام ونائب الكرك ليس الا .

النوع الثالث : ورق الطير وربما قيل ورق البطائق وهو غاية ما يكون من رقة الحاشية والفرخة منه زنة درهم ونصف ويستعمل في ديوان الانشاء في الملطفات والبطائق لا غير»(١.

ويؤخذ مما تقدم ان الورق الشامي كان منه لونان ابيض واحمر ولكل منهما استعمال خاص وممن ذكرهما ايضاً القلقشندي في كلامه على المطالعات الواردة من اكابر اهل الدولة بالديار المصرية والبلاد الشامية من النواب ومن في معناهم فقال :

« قد جرت عادة من يكتب الى الابواب السلطانية من اهل هذه الرتبة ان يكتب جميعهم كتبهم في قطع العادة فان كان بالديار المصرية فمن الورق البلدي وان كان بالبلاد الشامية فمن الورق الشامي وجميع ذلك في الورق الابيض الا نائب الشام ونائب الكرك فانهما قد جرت العادة فيها بانهما يكتبان الى الابواب السلطانية في الورق الاحمر الشامي شيء اختصا به دون سائر اهل المملكة » (٢ .

واخبر عمن يوثق به انه رأى عهد المعتضد بالله والمتوكل على الله من خلفاء مصر العباسيين مكتوباً في قطع الشامي الكامل قال :

« وكأنهم لما تقهقرت الخلافة وضعف شأنها وصار الامر الى الملوك المتغلبين على الخلفاء تنازلوا في كتابة عهودهم من قطع الكامل البغدادي الى قطع الشامي » (٣ .

واشار الى قطع الشامي الكامل فقال : « عرض درجه عرض الطومار الشامي في طوله وهو قليل الاستعمال بالديوان الا انه ربما كتب فيه بعض المكاتبات كما كتب فيه عن الاشرف شعبان بن حسين لوالدته حين سافرت الى الحجاز الشريف »(٤ .

١) خزانة باريس رقم ٤٤٣٩ ص ١٧٧

٢) صبح الاعشى ٨ : ٥٤

٣) « « ٩ : ٣٩٤

٤) « « ٦ : ١٩٢-١٩٣

وذكر ايضا القطع الصغير وانه « في عرض ثلاثة اصابع مطبوقة من الورق المعروف بورق الطير وهو صنف من الورق الشامي رقيق للغاية وفيه تكتب ملطفات الكتب وبطائق الحمام »[1] . اي حمام الزاجل او الحمام الهادي .

ولا بد لمعرفة مقادير الورق الحموي والشامي واقيستها بالضبط من تفقد ما يوجد اليوم من المخطوطات القديمة باقلام مؤلفيها وقد اعتاد بعض المؤرخين اذا ذكروها ان ينبهوا على قطع الورق المكتوبة فيه كقول ابن قاضي شهبة الاسدي في كلامه على تاريخ صلاح الدين بن شاكر الكتبي المعروف بعيون التواريخ : « هي بخطه في اربعة وعشرين مجلداً في نصف قطع الحموي »[2] وكقول فضل الله الصقاعي ان ابن الحواري جمع في اوصاف دمشق ومحاسنها والماجريات فيها قدر خمس مئة كراس بقطع الدمشقي الكامل »[3] وفي الخزانة التيمورية بالقاهرة بعض مجلدات بخط ابن شاكر يسهل قياسها وتحقيق مقادير الورق الحموي فيها . وفي مخطوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ما هو عريق في القدم خط منذ منتصف المئة الثالثة للهجرة فلتراجع وينظر فيها ليسهل علينا تعيين قطع الورق الشامي او غيره منها . ولا يجهل احد شأن هذا الدرس وفائدته الجلى في تاريخ الوراقة .

وندر جداً ان يشار الى اسعار الورق قديماً في جملة ما كان يطرأ على الاسواق من رخص وغلاء . وغاية ما وقفنا عليه قول البدر العيني : في اواخر المحرّم (سنة ٨٠٦=١٤٠٣) تحسنت الاسعار جداً . . . ووصل الدشت من الورق الشامي وهو خمس وعشرون فرخة الى ستة عشر درهماً والدشت الحموي الى عشرين درهماً »[4] . وذكر اسعار سنة (٨٢٣/١٤٢٠) فقال : « تحسنت اسعار الكتب جداً ورخص الورق الشامي بعض الرخص فبيع الكف منه بثلاثين درهماً فلوساً والكفة منه خمس وعشرون فرخة »[5]

---

١) صبح الاعشى ٦ : ١٩٢–١٩٣
٢) كتاب الذيل ١٥٩٨ باريس ١٧١
٣) تالي كتاب الاعيان ٢٠٦١ باريس ٧٤
٤) عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ١٥٤٣ باريس ١٥
٥) عقد الجمان ١٢٥

وكان بدمشق وراقات اتخذت في جوار الانهار او العيون لحاجة الصناعة كان منها واحدة في خارج باب السلامة عند عين كنشتكين و«تقع هذه العين في زقاق يسمّى اليوم زقاق العين على يمين الخارج من باب السلامة»[1] . وكان قريبا منها مسجد يدعى مسجد الوراقة وهو الرابع والاربعون من مساجد كتاب ثمار المقاصد لابن عبد الهادي . ومنها ثانية في محلة عُيَينة الحمى « عند دار البطيخ في مكان المدرسة الشامية البرانية »[2] . وهنالك عين تسمى عين علي[1] . ورد ذكر هاتين الوراقتين في الكتابة التي لا تزال تقرأ فوق عتبة مدرسة نور الدين الشهير التي يقال لها النورية الكبرى في السوق المعروفة اليوم بسوق الخياطين وكانت تدعى قديماً سوق الخواصين[3] اي بائعي الخوص وهو ورق النخل .

ومنها وراقة ثالثة تحت المدرسة العزية اشار اليها صلاح الدين الصفدي في ذكره وفاة عبد الوهاب بن فضل الله العمري سنة ٧١٩ (١٣١٩ م) قال : ودفن بتربة له جوار المدرسة العزية التي عند الوراقة ظاهر دمشق»[4] وفي غربي هذه الوراقة الزاوية اليونسية بالشرف الاعلى كما جاء في المنهل الصافي لابن تغري بردي[5] . وعندها عين تسمى عين الوراقة كما في مخطط الصالحية للاستاذ دهان واياها دون ريب اراد ابن الراعي بقوله :

وكم جمعنا الشمل في الوراقة عين تراها بالصفا براقة[6]

ويظهر انه كان بدمشق وراقة رابعة ذكرها ابن عساكر في كلامه على وفاة علي بن محمد بن علي بن داود ابي الرضى الانطاكي قال : توفي ودفن في الوراقة التي خارج باب الفراديس عقيب صلاة الجمعة الثامن من رجب سنة احدى وتسعين واربعمائة (١٠٩٨ م) .

١) الوراقات بدمشق للاستاذ صلاح الدين المنجد (المشرق المجلد ٤٣ (١٩٤٨) الجزء ٣٦٠.
٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٢٢٦
٣) البداية والنهاية ٩ : ٣٥١
٤) اعيان العصر دار الكتب المصرية رقم ١٠٩١ ج ٦ : ٢٢٣
٥) المنهل الصافي الجامعة العبرية ٤ : ٢٠٢
٦) البرق المتألق في محاسن جلق ٧٤٤٠ دار الكتب المصرية .

ولم نعثر في كل مطالعاتنا على اقل اشارة الى عمل الورق في حماة او عن الوراقات فيها لقلة احتفال المؤرخين باخبار الصناعات والفنون والتجارة وهو الشقاء الذي كتب على تاريخ الحضارة العربية في الشرق .

وجل ما انتهى الينا من آثار اصطناع الكاغد في حلب اشارة الى وراقة قديمة فيها خصت بالذكر في احد المراسيم السلطانية في دولة المماليك ولا يزال حي من احياء حلب يعرف اليوم باسم الوراقة[١] .

وقد تنوسيت اخبار منبج ودرست آثار صناعة الورق فيها ولكن بقي صداها في الغرب شاهداً بتقدمها . وكان يجلب الكاغد منها في جملة مجالب اوربة من الشام في العصور المتوسطة ويسمى عندهم Charta Bombycèna لان منبج كانت تعرف عندهم باسم Bombyce او Bombyx وهو ترجمة الاسم العربي اي الورق المَنْبِجاني .

وفي سنة ٤٣٧/١٠٣٥ مرّ بطرابلس ناصر خسرو المروزي ووصفها في رحلته «سفرنامه» فقال : « يصنعون فيها الورق الجميل مثل الورق السمرقندي بل احسن منه »[٢] . وهذه الشهادة تدل على نهاية جودة الورق الطرابلسي وهي تخالف القول الشائع ان ورق السمرقند منقطع القرين .

واما طبرية فاوحد من نبّه على عمل الكاغد فيها حين مرّ بها هو البشاري المقدسي وعدّه في جملة ما كان يرتفع منها في ايامه[٣] ولا عجب من تخصصها بهذه الصناعة وفيها البحيرة المشهورة .

وفي التقاليد العربية ان عسقلان كانت ايضاً من المدن الشرقية التي كانت تشتمل على الوراقات في عهد الصليبيين ولا يزال بعض المؤلفين يذهبون في حكاية منشإ الورق في فرنسة الى ان بعض اسرى الصليبيين من جند الملك لويس التاسع تلقنوا اسراره في معامل دمشق وعسقلان ولما تخلصوا من الاسر وعادوا الى بلادهم في اوفرنيه (Auvergne) كانوا اول من احدث هذه الصناعة

١) J. Sauvaget : *Décrets Mamlouks*, in Bulletin des Études Orientales 1933, p. 23.

٢) Charles Scheffer : *Relation du voyage de Nasiri Khausrau*. Paris 1881, p. 41 — تعريب الخشاب ١٣

٣) احسن التقاسيم ١٨٠

فيها ودعوا بعض القرى حولهم باسمًا. تذكرهم بدمشق وعسقلان La Dame et Escalon ولكن المحققين اليوم من مؤرخي الورق ينكرون هذا الرأي ويرجحون انتقال الوراقة اليهم من الاندلس في جملة ما صار اليه من الصناعات والفنون الدمشقية على يد من رحل اليه من الشاميين بعد سقوط الخلافة المروانية .

٢١ ــ الورق المصري

قال القلقشندي في كلامه على الورق المستعمل في الدواوين الشريفة :

« ودون البغدادي والشامي في المرتبة الورق المصري وهو ايضًا على قطعين : القطع المنصوري وقطع العادة . والمنصوري اكبر قطعًا وقلّما يصقل وجهاه جميعًا . واما العادة فان فيه ما يصقل وجهاه ويسمى في عرف الوراقين « المصلوح » وغيره عندهم على رتبتين عال ووسط » (١ .

وفي مخطوط المصطلح الشريف في خزانة باريس شرح اتم واوفى قيل فيه :

« الورق المصري على نوعين . النوع الاول : الورق المنصوري وهو اوفى الاوراق قطعًا واعظمها حجمًا ومنه تفصل دروج الولايات والمكاتبات الكبار بديوان الانشاء . وتسمى الورقة الواحدة منه فرخة والدست خمس وعشرون ورقة والرزمة خمسة دسوت وكان في القديم تسمى الفرخة طومارا وتجمع على طوامير واشتقاقه من طمرت الشيء اذا اخفيته والدرج في الغالب يطوى ليخفى ما فيه(٢ ومقدار قطعه على ضربين الضرب الاول ما كان يستعمل في زمان الخلفاء وهو على خمسة مقادير قال محمد بن عمر المدائني في كتاب القلم انه كان يكتب للخلفاء في قرطاس من ثلثي طومار والى الامراء من نصف طومار والى العمال والكتاب من ثلث طومار والى التجار واشباههم من ربع طومار والى الحُسّاب والمسّاح من سدس طومار ومنها استخرجت المقادير المستعملة الآن .

والضرب الثاني : مقادير قطع الورق المستعمل الآن بديوان الانشاء وهو على تسعة مقادير .

الاول الطومار الكامل وعرض درجه ذراع ونصف بذراع القماش .

الثاني عرض ورق البغدادي وعرض درجه ذراع .

الثالث قطع البغدادي الناقص وعرض درجه دون البغدادي الكامل باربعة اصابع مطبوقة . . .

الرابع قطع الثُلُثين والمراد به ثلثي الطومار للمنصوري الكامل وعرض درجه ثلثي ذراع بذراع القماش . . .

---

١) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٦–٤٧٧ .

٢) سبق القول ان الطومار لفظة رومية .

الخامس : قطع النصف من الطومار الكامل المنصوري وعرض درجه نصف ذراع بذراع القماش .

السادس : قطع الثلث من الطومار المنصوري الكامل وعرض درجه ثلث ذراع . .

السابع : قطع المادة وعرض درجه ربع ذراع وقيراط بذراع القماش وفيه تكتب التواقيع والمراسيم الصغار ومناشير جند الحلقة ومقدميها ومناشير الامراء الصغار من المماليك الشامية وعشرات التركمان وبعض المسامح والامانات والطرخانيات واوراق الحلف والطريق وبعض الملطفات وجميع الامثلة خلا ما يكتب لبعض الملوك وهو اكثر ما يستعمل في الديوان .

الثامن : قطع ورق الملطفات وغالبًا يكون من ورق الطير

التاسع : قطع ورق البطائق وعرضه ثلثة اصابع مطبوقة (١ . . .

وقد اخل الكتابان بوصف ورق الطير على كثرة استعماله في رسائل حمام الزاجل وربما ذهب الوهم الى ان الورق المنصوري المشار اليه هو منسوب الى مدينة المنصورة . وانما يراد به ما كان مثال قطع الورق السمرقندي المنسوب الى منصور بن نجير الكاغدي الذي تقدم ذكره في الكلام على سمرقند . ومما يؤيد ذلك ان ابن سعيد متمم كتاب المغرب لما وصف مصر وصفًا حافلًا بالفوائد والملح وكان وصوله للاسكندرية سنة ٦٣٩/١٢٤١ قال أن المطابخ التي يصنع فيها الورق المنصوري مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة[٢] . فلم يكن شيء منها في المنصورة بمصر .

وقد فاتنا معرفة المواضع والجهات التي كان يصنع فيها الورق المصري في ما عدا الفسطاط وفوّة ودقبلة . وفي زمان المقريزي كانت الوراقات بالقرب من باب القنطرة ظاهر القاهرة في الموضع المعروف بخطة لحم واولها شرقي الكنيسة المعروفة بيكائيل عند خليج بني وائل[٣] ولا شك ان هذه الوراقات وغيرها مما لم يبلغنا ذكرها كانت ذات شأن واتساع حتى طمحت عين الوزير كريم الدين الى الاستئثار بارباح ما يدخل فيها من المواد والمؤن « فاحتكر الاصناف قليلها وكثيرها حتى حبال القنب للوراقات وقصب الغاب وقش الحصير »[٤]

---

١) خزانة باريس رقم ٤٤٣٩ ص ١٧٧—١٧٨

٢) نفح الطيب للمقري ١ : ٤٩٢ والخطط للمقريزي مطبعة النيل ٣ : ١٨٩ .

٣) الخطط ٢ : ٧٧

٤) نهاية الارب للنويري خزانة ليون Arab, 19b Gail. fo 24

وكان في القاهرة « حارة الوراقين » بسوق المرحلين . « وخط خان الوراقة ما بين حارة بهاء الدين وسويقة امير الجيوش »[1] .

ومن وزراء مصر وشعرائها المشهورين الذين تقارضوا الشعر لافلاسهم من الورق جمال الدين بن مطروح. قال ابن خلكان: « اخبرني بهاء الدين بن زهير ان جمال الدين بن مطروح كتب اليه في بعض الايام يطلب منه درج ورق وكان قد ضاق به الوقت واظنهما كانا ببلاد المشرق جميعاً :

افلستُ يا سيدي من الورَق   فجُدْ بدرج كعرضك البقق
وان اتى بالمداد مقترناً   فمرحباً بالخدود والحدق

قال بهاء الدين زهير : وقد فتح الراء من الورَق وكسرها تبينها الى حاله فكتب اليه :

مولاي سيَّرتُ ما رسمتَ به   وهو يسير المداد والورق
وعزَّ عندي سير ذاك وقد   شبَّهته بالخدود والحدق [2]

وقوله : فتح الراء من الورق وكسرها اشارة الى المعنيين اي بالفتح الى الكاغد وبالكسر الى الدراهم المضروبة .

وكان بمصر محلة مشهورة فيها سوق الكتب والدفاتر والطرائف كالآبنوس والزجاج وغير ذلك تسمى زقاق القناديل[3] .

٢٢ ــ الورق التهامي

لم نجد ذكراً له في كتاب الفهرست وحده ولا ندري هل لفظة «التهامي» الواردة في الاصل هي صحيحة ام انها تحريف لفظة الشامي ولا يخفى كثرة ما اعتور نسخة الفهرست في طبعتيه الاوربية والمصرية من الاغلاط والتصحيفات التي شانت عبارات ابن النديم وحالت احياناً دون فهم مغزاها ومداولها. وهذا نص الفصل الذي جاء فيه ذكر الورق التهامي ننقله برمته لما تضمنه من الفوائد النادرة ووصف بعض الكنوز العلمية وتعداد نقاش الآثار القديمة التي لم يخل

١) الخطط ٢ : ٢ و ٢٧
٢) وفيات الاعيان طبعة باريس ٣٨٥
٣) معجم البلدان ٢ : ٩٣٧

الشرق العربي من نشاق وجماعين لها على معرفة باعلاقها وبصيرة بقيمتها واقدارها.

قال محمد بن اسحق :

«كان بمدينة الحديثة رجل يقال له محمد بن الحسين ويعرف بابن ابي بعرة جماعة للكتب لم ار لاحد مثلها كثرة تحتوي على قطعة من الكتب العربية في النحو واللغة والادب والكتب القديمة فلقيت هذا الرجل دفعات وأنس بي وكان نفوراً ضنيناً بما عنده خائفاً من بني حمدان فاخرج لي قمطرا كبيرا فيه نحو ثلاثمائة رطل جلود وفلجان وصكاك وقرطاس مصر وورق صيني وورق تهامي وجلود أدم وورق خراساني فيها تعليقات عن العرب وقصائد مفردات من اشعارهم وشيء من النحو والحكايات والاخبار والاسمار والانساب وغير ذلك من علوم العرب وذكر ان رجلا من اهل الكوفة ذهب عني اسمه كان مستهترا بجمع الخطوط القديمة وانه لما حضرته الوفاة خصه بذلك لصداقة كانت بينها وافضال من محمد بن الحسين عليه ومجانسة المذهب فانه كان شيعياً فرأيتها وقلبتها فرايت عجباً الا ان الزمان كان قد اخلقها وعمل فيها عملا ادرسها واحرقها وكان على كل جزء او ورقة او مدرج توقيع بخطوط العلماء واحداً اثر واحد يذكر فيه خط من هو. وتحت كل توقيع توقيع آخر وخمسة او ستة من شهادات العلماء على خطوط بعض لبعض. ورأيت في جملتها مصحفاً بخط خالد بن ابي الهياج صاحب علي رضي الله عنه . ثم وصل هذا المصحف الى ابي عبدالله بن حاني رحمه الله. ورأيت منها بخطوط الامامين الحسن والحسين . ورأيت عنه امانات وعهوداً بخط امير المؤمنين علي عليه السلام وبخط غيره من كتّاب النبي صلى الله عليه وسلم . ومن خطوط العلماء في النحو واللغة مثل ابي عمرو بن العلاء وابي عمر الشيباني والاصمعي وابن الاعرابي وسيبويه والفراء والكسائي. ومن خطوط اصحاب الحديث مثل سفيان بن عيينة وسفيان الثوري والاوزاعي وغيرهم . ورأيت ما يدل على ان النحو عن ابي الاسود ما هذه حكايته وهي اربعة اوراق احسبها من ورق الصين ترجمتها هذه : فيها كلام في الفاعل والمفعول عن ابي الاسود رحمة الله عليه بخط يحيى بن يعمر . وتحت هذا الخط بخط عتيق : هذا خط علان النحوي . وتحته : هذا خط النضر بن شميل . ثم لما مات هذا الرجل فقدنا القمطر وما كان فيه فما سمعنا له خبراً ولا رأيت منه غير المصحف هذا على كثرة بحثي عنه »(١ .

وقد اطلنا التنقيب والفحص لعلنا نظفر باشارة اخرى الى الورق التهامي او نص على عمله فذهبت اتعابنا سدى ولم نهتد الى ضالتنا . ومع ذلك لا نظن اننا نخطئ كثيراً اذ قدرنا امكان نسبة الورق الى تهامة على ما يظهر في بادئ الرأي من تعذرها وبعدها اذ لا يجب ان ننسى ان تهامة كانت تعد من اليمن وان اليمن كان في الجاهلية والاسلام وطناً من اهم اوطان الفنون والصناعات اشتهر بحلله ووشيه وطرائفه وتقدم حضارته فلا ينتفي ان تكون

١) الفهرست ٦٠-٦١

صنعا. مثلاً من مدنه قد تنبهت لاصطناع الكاغد لما رأته من شدة الحاجة اليه في العلم والدين والتجارة وقد وصف الهمداني مدن اليمن التهامية والنجدية ودعا صنعا. ام اليمن وقطبها وقال: « لم يزل بها عالم وفقيه وحكيم وزاهد.. ولهم خط المصاحف الصنعاني المكسر والتحسين الذي لا يلحق به ولهم حقائق الشكل ذكرهم بذلك الخليل ومنهم الخطبا. والعلما. واصحاب النجوم والشعراء. »[1] فمن الغريب ان لا يكونوا سبقوا في كفاية مؤونتهم من الورق على ولعهم بالخطوط والمصاحف والآداب ولما مرّ البشاري المقدسي بعدن قال: « وباليمن يلزقون الدروج ويبطنون الدفاتر بالنشا وبعث اليّ امير عدن مصحفاً اجلّده فسألت عن الاشراس بالمطارين فلم يعرفوه ودلوني على المحتسب وقالوا عساه يعرفه فلما سالته قال من اين انت قلت من فلسطين قال انت من بلد الرخا. لو كان لهم اشراس لأكلوه. عليك بالنشا. ويعجبهم التجليد الحسن ويبذلون فيه الاجرة الوافرة وربما كنت أُعطى على المصحف دينارين »[2].

ولا يخفى ما في هذا الوصف وذكر إلصاق الدروج والاوراق والتجليد من تلميح الى عمل الكاغد ولا عرو اذا اهمل المؤرخون عدّ اليمن وتهامته في جملة البلاد التي تصطنعه وتتّجر به وقد اغفلت وتناست كثيراً منها واقتصرت على تسمية ما اشتهر بينها فقط دون استيفاء لها .

٢٣ — الورق المغربي

لم نقف من اخبار الورق في افريقية والمغرب الا على لُمَع يسيرة في كلامهم على مدينة فاس وكثرة المياه والارحا. فيها وقد زارها ابن حوقل فقال: « نهرها عظيم الما. عليه ارحية كثيرة »[3] واضاف البكري ان على باب دار الرجل رحاه وبستانه بانواع الثمر وجداول الما. تخرق داره والمدينتين (عدوة القرويين وعدوة الاندلسيين) ازيد من ثلاث مئة رحاً وفيها نحو عشرين حماماً وهي اكثر بلاد المغرب يهوداً يختلفون منها الى جميع الآفاق »[4] . ومع ان ياقوت نقل هذا

١) كتاب صفة جزيرة العرب . ليدن ٥٥–٥٦

٢) احسن التقاسيم ١٠٠

٣) المسالك والممالك ٦٥

٤) المُغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب طبعة الجزائر ١١٥

الكلام بالحرف اتبعه بزيادة لم يذكر عمن نقلها قال فيها : « ان النهر اذا انتهى الى المدينة طاب قرارتها فيفترق منه ثمانية انهار تشق المدينة عليها نحو ست مئة رحاً في داخل المدينة كلها دائرة لا تبطل ليلاً ولا نهاراً تدخل من تلك الانهار في كل دار ساقية ماء. »[1] . ولعل الاصح ما حكاه ابو محمد صالح بن عبد الحليم مؤلف كتاب روض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس حيث قال: « أحصيت الارحاء التي دار عليها سور المدينة فوجدت اربع مئة حجراً واثنان وسبعون حجراً. وروى قول ابي الفضل النحوي في مدح المدينة :

يا فاس منك جميع الحسن مُسْتَرَق والساكنون أُمنيهم لقد رُزقوا
أرض تخللها الانهار داخلها حتى المجالس والاسواق والطرق [2]

ولا ريب ان غزارة المياه فيها مع ما اجتمع اليها لا محالة من مزروعات القنب والحلفاء هي كانت الباعث على عمل الورق وتعدد ارحائه وقد اشار اليها ابن عبد الحليم فقال : « كان بها اربع مئة حجر لعمل الكاغد وخرب ذلك كله في ايام المجاعة والفتنة التي كانت في ايام العادل واخيه المأمون وابنه الرشيد وذلك من سنة ثمانية عشر الى سنة سبع وثلاثين وستمائة (١٢٢١—١٢٣٩ م) وكانت مدة توالي الخراب عليها عشرين سنة الى ان ظهرت الدولة المرينية فانجبرت البلاد وتأمنت الطرق . قال المؤلف : نقلت ذلك كله من تقييد الشيخ الفقيه المُشرف ابي الحسن علي بن عمر الاوسي نقله من زمام بخط المشرف القديم مشرف المدينة في ايام الناصر الموحّدي »[3]

وفي تسمية تاريخ فاس لابن عبد الحليم بروض القرطاس ايماء ظاهر الى عمل القرطاس اي الكاغد في المدينة . ويظهر ان جنسه كان دون ورق المشرق لقول القلقشندي بعد وصف ورق العراق والشام ومصر : ودون ذلك ورق اهل المغرب والفرنجة فهو رديء جداً سريع البلى قليل المكث ولذلك يكتبون المصاحف غالباً في الرق على العادة الاولى لطول البقاء »[4]

١) معجم البلدان ٣ : ٨٤٣
٢) روض القرطاس ١٨٦٩ باريس ١٢ و ٢٠
٣) روض القرطاس ٢١
٤) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٧

ولا يبعد ان يكون اليهود هم الذين احدثوا صناعة الكاغد في فاس كما فعلوا قبلًا في مدينة شاطبة في الاندلس . ومما يدل على وفرة عديدهم في فاس قول روض القرطاس في ذكر زيارة جامع القرويين: « وابتدأ القاضي الفقيه ابو عبدالله محمد بن داود بشرا. الاملاك والديار التي قبلة الجامع وغربها وشرقها فاشترى منها ما احب واحتاج اليها باحسن شراء دون غبن على احد من ذلك وكان اكثرها ديارا لليهود لعنهم الله »[1] .

ومن الاخبار التي تنم على وجود الورق في فاس ما ذكره ابن عبد الحليم ايضاً قال :« لما دخل الموحدون المدينة وذلك يوم الخميس الخامس عشر لربيع الآخر سنة اربعين وخمسمائة (٥ اكتوبر تشرين الاول ١١٤٥) خاف فقهاء المدينة واشياخها ان يستنقض عليهم الموحدون ذلك النقش والزخرف الذي فوق المحراب لانهم قاموا بالتقشف وبالناموس فقيل لهم ان امير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي يدخل غدا المدينة مع اشياخ الموحدين برسم صلاة الجمعة بالقرويين فخافوا لذلك فباتوا بالجامع تلك الليلة فغطّوا على ذلك النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالكاغد ثم لبّسوا عليه بالجص وغسل عليه بالبياض وذلك فقطت كل النقوش كلها وصارت بياضاً »[2] .

ولما ذكر ليون الافريقي مدينة فاس وعدد اسواقها بعد تنصّره وكان اسمه قبلًا الحسن بن محمد الوزان الفاسي قال : وغرباً نحو من ثلاثين حانوتاً للوراقين »[3] . ومن الغريب ان البشاري المقدسي لم يزد على قوله فيها : واما فاس فان اهلها ولوانهم عاوق[4] . ولم يشر بحرف الى وراقتها .

وفي بعض الاقوال ان الوراقة كانت معروفة في مدينة سبتة[5] . وروى آخرون انها كانت في مراكش ايضاً وتونس ولا ندري في اي من مدن المغرب

---

١) روض القرطاس ٢٧

٢) روض القرطاس ٢٩

٣) Léon L'Africain : *Description de l'Afrique*. édit. Ch. Schefer. Paris, 1896. p. 89.

٤) احسن التقاسيم ٢١٩

٥) C. M. Briquet : *Recherches sur les premiers papiers employés en Occident et en Orient du X^e au XIV^e siècle*. Paris. 1886. p. 37.

كان يصنع الورق الذي شكا القلقشندي من رداءته وقلة متانته ولا يجب ان يُقضى من قوله على كل كواغد المغرب فقد كان بينها مـا هو غاية في الجودة غريب في صنعته . حكى المقري « ان بعض المغاربة كتب الى الملك الكامل ابن العادل ابن ايوب رقعة في ورقة بيضاء ان قرئت في ضوء السراج كانت فضة وان قرئت في الشمس كانت ذهبية وان قرئت في الظل كانت حبرًا اسود »[1] وهو ما يدل على ذكاء عملها وتميز صاحبها بعلم الوراقة .

ومن المغاربة الذين مهروا في عمل الورق وبلغوا غاية الإعجاز في الكتابة عليه بخط دقيق عبدالله بن محمد بن ابي عبدالله الجمال المغربي السوسي ثم المصري» كان اعجوبة الدهر في صناعة الاشياء الدقيقة حتى كان يصنع بيده ورقاً يكتب فيه بخطه الدقيق سورة الاخلاص وآية الكرسي وقصيدة مديح من نظمه ويجعلها في فلقة كزبرة يابسة ويغطيها بالاخرى »[2] . وهو ما يأبى العقل اليوم تصديقه لكونه من الخوارق التي يستحيل امكانها في اعتقادنا .

٢٤ ــ الورق الاندلسي

كانت شهرة الوراقة والوراقين في الاندلس بالغة اقصى آماد السمعة والذيوع في زمان الرحالة البشاري المقدسي اي سنة ٣٧٥ــ٩٨٥ ردّد صداها في كتابه فقال: اهل الاندلس احذق الناس في الوراقة[3] » واربى عليه الشريف الادريسي فذكر « ان مدينة شاطبة (Yativa) يعمل بها من الكاغد ما لا يوجد له نظير بمعمور الارض ويعم الشرق والغرب »[4] . ونقل مثل ذلك ياقوت في كلامه على شاطبة[5] وجاء بعدهم المقري فقال: « من اعمال بلنسية شاطبة التي يضرب عنها المثل ويعمل بها الورق الذي لا نظير له[5] » . ولا تزال هذه الشهرة متداولة الى اليوم في المغرب حيث يدعى ورق بعض المخطوطات القديمة « شاطبيا » ويمتاز بثخانته وحسن صقاله .

١) نفح الطيب ٢ : ٥١

٢) الضوء اللامع لاهل القرن التاسع لشمس الدين السخاوي ٥ : ٥٧

٣) احسن التقاسيم ٢٣٩

٤) *Description de l'Afrique et de l'Espagne*. édit. Dozy et de Goy, p. 192

٥) معجم البلدان ٣ : ٢٥٣

ويتحصل من شهادات بعض الروايات المتقدمة ان اليهود هم اول من ادخل هذه الصناعة شاطبة . قالوا ان الصانع لها كان سنة ١٠٧٤ ويدعى Aben Massifa ابن مسيفة اذا صحت هذه القراءة . وفي خزانة دير سانتو دومينيكو دي سيلوس[1] مخطوطان في الصلوات على ورق شاطبي من بواكير الصناعة . وفي مفتتح القرن الثاني عشر زار اسبانية احد الرهبان الفرنسيين[2] وعاين فيها بعض المخطوطات على الورق اليهودي . وفي سجلات مدينة برسلونة ذكر للرسوم التي كانت تؤخذ من اليهود بتاريخ ٨ شباط فبراير سنة ١٢٧٣ على مصنوعاتهم في شاطبة[3] .

ومن المذهل الغريب انه لم يقم الى الآن في اسبانية من اراد جمع اخبار هذه الصناعة القديمة على ما كان لها من جلالة الشأن والانتشار في المملكتين المحمدية الاندلسية والمسيحية الاسبانية . وقد امتاز العرب خصوصاً بين شاميين ومغاربة بالحرص على اقتناء الكتب والدواوين وحشد الآلاف منها في الخزائن السلطانية والخاصة وتكاثر من اجل ذلك عدد الوراقين بين باعة ونساخ حتى بلغ مبلغاً لا يدركه الا من تقل التاريخ الاندلسي علماً . وكفى بشهرة الحكم المرواني عبد الرحمن المستنصر بالله دليلاً على افتتان القوم بالمطالعة والحفظ والاقبال على العلوم الدينية والادبية التي تقوم عليها اسواق الوراقة . وقد نبه من اطرأ زمان الحكم ان خزائنه كانت ملأى بالاعلاق والنقاش الخطية «حتى غصت بها بيوته وضاقت عنها خزائنه . . . وكان اخوه عبدالله على مثل هذه الحال . . . ولم يسمع في الاسلام بخليفة بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب والدواوين وايثارها . . . وكان له وراقون باقطار البلاد ينتخبون له غرائب التآليف ورجال يوجههم الى الآفاق فيها[4] . . .

ولا حاجة الى القول ان مثل هذا الولع والاستهتار في تحصيل العلم وجمع آثاره كان يقتضي طبعاً تعدد مصانع الورق لشدة الافتقار اليه واتصال الرغبة فيه . ومن اجل ذلك تكلفنا عناء السفر الى اسبانية فزرنا مدريد والاسكريال وقرطبة

١) Santo Domingo de Silos près de Burgos.

٢) Pierre le Vénérable, abbé de Cluny(1092-1156).

٣) André Blum : *Les origines du papier*, p. 45.

٤) الحلة السيراء لابن الابار . طبعة ليدن ١٠١—١٠٣

واشبيلية وغرناطة لعلنا نجد بين التركات العلمية فيها ما يصف لنا ازمنة من ازهى عصور العلم والادب في الغرب ولكن ساء فألنا وخاب رجاؤنا وعدنا بألم الاسف والتحسر صفر اليدين لضياع كل ما كتبته الاقلام العربية عن تلك العصور الزاهرة .

وغاية ما وقفنا عليه من اوصاف الورق انه كان يصنع منه نوع احمر خاص بالكتابات والصكوك الديوانية وتوقّع في اعلاه العلامة السلطانية . وقد شبّه لسان الدين الخطيب هذه العلامة السودا. في الصحيفة بالخال في الوجنة الحمرا. فقال :

كأن سواد الخال في وجناته علامة مولانا على احمر الطرس[١]

وكتب ابن هزيل الفزاري للغني بالله سلطان لسان الدين بن الخطيب :

ليس لي يا مولاي من جابر اذا غدا قلبي من البلوى جذاذا
غير صك احمر تكتب لي فيه بُبناك اعتناء « صحَّ هذا » [٢]

وقد اطلنا البحث والفحص كثيرًا فلم نجد في ما عدا شاطبة ذكر مدينة اخرى اشتهرت نظيرها في اصطناع الورق ولكن لا يجب ان نستنتج من ضياع مثل هذه الشهادات او سكوتها ان الكاغد مع شدة الطلب له لم يعمل في غير بلد من البلاد التي اجتمع فيها وجود الماء وتوفر المؤن التي قامت عليها هذه الصناعة كالقنب والحبال والخرق البوالي ومشاقة الكتان وفتات الاقطان والحلفا. وقشور الارز . وقد مرّ بنا في كتاب الحسبة لابن عبدون التجيبي في جملة وصايا المحتسب في اشبيلية انه «يجب ان يُزاد في قالب الكاغد وفي دلكه ايضًا»[٣] . وهو دليل صريح على انه كان في هذه المدينة صناع للورق حتى احتاجوا الى هذه التوصية . ويؤخذ ايضًا من بعض الاقوال ان صناعة الكاغد عرفت ايضًا في بلنسية وطليطلة[٤] . وأشير الينا كذلك في بعض سجلات مملكة أراكون حيث رُسم مرة ان تجمع الخِرَق المتهرئة لعمل الورق في جزيرة منورقة[٥] ولعل المستقبل يبدي لنا ما نجهله اليوم.

١) نفح الطيب ٤ : ١٨٦

٢) نفح الطيب ٣ : ٣٥٤

٣) Journal Asiatique. Mars-Juin 1934, p. 238.

٤) C. M. Briquet : *Recherches sur les premiers papiers employés en Occident et en Orient du X*e *au XIV*e *siècle*. Paris, 1886, p. 37.

٥) C. Parpal y Marques: *Hubo fabrica de papel en Menorca en tiempo de los Arabes?* in (Bibliothèque Nationale). Revista de Historia Española... 1900, p. 294.

٢٥ — ورق الطير والبطائق

سبق وصفه في الكلام على الورق الشامي . ويراد بالطير حمام الزاجل او حمام الهدي وكان الورق يلف ويعلق باجنحتها وتكتب فيه الملطفات السلطانية والبطائق وربما كتبت فيه المصاحف الصغيرة التي تحمل في الجيوب او تختار لتلاوة الليل لسهولة محلها ومن كتب مصحفاً منها جواد بن سليمان بن غالب ابن معن ينتهي نسبه فيما قيل الى النعمان بن المنذر . ولد سنة ١٣٠٥/٧٠٥ « وكان من اتقن الناس للصنائع كتب مصحفاً مضبوطاً مشكولاً يقرأ فيه بالليل وزن ورقه سبعة دراهم وربع وجلده خمسة دراهم »[١] .

وكان وزن الدرج من ورق الطير او الفرخة درهماً ونصف درهم وعرضه ثلاث اصابع مطبقة فهو غاية ما يكون من رقة الحاشية[٢] .

ومن اجل هذه الرقة الشديدة كان الورق شفافاً جداً يشف عما تحته . روى الصفدي ان عماد الدين بن الشيرازي الكاتب المتوفي سنة ١٢٨٣/٦٨٢ « بلغه ان ربعة في بغداد بخط ابن البواب كتبها بخفّ المحقق فاستعمل من ورق الطير جملة واخذه معه وتوجه الى بغداد واخذ تلك الربعة جزءا فجزءا وكان يضع ورق الطير على خط ابن البواب فيشفّ عما تحته ويجلي الكتابة له فيكتب عليها لا يخلّ بذرّة منها . قال الصفدي : « وقد رأيت انا من هذه الربعة التي كتبها عماد الدين جزءا وما في الورقة مكتوب الا وجهة واحدة فكنت اتعجب لذلك . فلما سمعت هذه الواقعة علمت السبب في ذلك »[٣] .

٢٦ — ورق الصرّ او المزاود

سماه عبد اللطيف البغدادي « ورق العطارين » وكان يعرف ايضاً في مصر بالورق « الفويّ » نسبته الى فوّة بليدة من نواحي مصر قرب رشيد واليه اشار المقريزي بقوله : ما يستعمله العطارون من القراطيس والورق الفوي والخيوط . . .

---

١) المنهل الصافي لابن تغري بردي نسخة باريس ٣ : ١٣

٢) صبح الاعشى ٦ : ١٩١—١٩٢

٣) الوافي بالوفيات للصفدي طبعة استانبول ١ : ٢٠٢

التي تلقى على المزابل»[1] ووصفه القلقشندي في كلامه على الورق المصري فقال: وفيه صنف يعرف بالفوي صغير القطع خشن غليظ خفيف الغرف لا يُنتفع به في الكتابة يتخذ للحلوى والعطار ونحو ذلك»[2]. وكان الوراقون يتخذون له من المواد ما كان رخيصاً او ساقطاً في الرتبة كالاكفان القديمة التي ذكرها عبد اللطيف البغدادي في وصف اصحاب المطالب ونبشة الفراديس قال :

« ومما يقوي اطماعهم ويديم اصرارهم انهم يجدون نواويس تحت الارض فسيحة الارجاء محكمة البناء وفيها من موتى القدماء الجم الغفير والعدد الكثير قد لُففوا باكفان من ثياب القنب لعله يكون على الميت منها زهاء الف ذراع وقد كُفِّن كل عضو على انفراده كاليد والرجل والاصبع في قُمُط رقاق ثم بعد ذلك تلف جثة الميت جملة حتى يصير كالجمل المعظم ومن كان يتتبع هذه النواويس من الاعراب واهل الريف وغيرهم يأخذ هذه الاكفان مما وجد فيه تماسكاً اتخذه ثياباً او باعه للوراقين يعمل منه ورق العطارين »[3] .

ولما مرَّ بمصر ناصري خسرو المروزي في النصف الاول من القرن الخامس للهجرة شاهد هذا الورق في كل الاسواق والحوانيت وقال : « ان العطارين والبقالين هم الذين يعطون المشتري ما يحتاج اليه من زجاج او خزف او ورق لتعبئة ما يشتريه منهم »[4] .

وكانت امثال هذه الاوراق تتخذ قديماً من ساقط البردي ولم يكن لها اسم خاص تتميز به ولذلك ترد احياناً لفظة « القرطاس » للدلالة على ما سماه العماد الكاتب الاصبهاني « مزاوداً » (cornets) في بيتين له تشاءم فيهما من خط كتبه فقال بغاية الضمة والظرف .

هي كتبي وليس تصلح من بعـــدي لغير العطار والاسكاف
فهي اما مزاود للعقـاـا قير او بطائن للخفـاف

وقد اشار الى هذه العادة الطبيب ابن بطلان فقال :«صارت الكتب تباع على العطارين للحوائج وعلى الذهبيين للسفاتج وعلى الملاحين للمزاود »[5]

١) الخطط ٣ : ١٥٤
٢) صبح الاعشى ٢ : ٤٧٦–٤٧٧
٣) كتاب الافادة والاعتبار ٣٥
٤) سفرنامه تعريب الخشاب ٦١ *Relation du voyage de Nasiri Khosrau*, traduction de Ch. Scheffer. Paris. 1881, p. 153.
٥) دعوة الاطباء طبعة زلزل ١٣

وممن بيعت مسودات كتبه قبل تبيضها عبدالله بن خلف بن رافع المكي ابومحمد المصري « جمع تاريخًا لمصر اجاد فيه ومات وهو قد عجز عن مسوداته ان يبيضها لفقره فبيع على العطارين لصرّ الحوائج كأن لم يكن بمصر من يعينه على تبييضه ولا ذو همة يشتريه فيبيّضه »[١] وهذه من اقل آفات حرفة الادب في الشرق .

٢٧ ـ الورق المقوّى

هو المعروف اليوم باسمه الاعجمي « كرتون » ولم نقف على ذكر له في ما خلا قول مؤلف زبدة التواريخ نور الدين لطف الله الهروي من اهل القرن التاسع للهجرة المشهور باسم حافظ عبرو في وصفه نهب الغُز نيسابور سنة ٥٤٨/١١٥٣ وما حل بخزائن الكتب فيها من الضياع والخسار فقال : بيعت المجلدات فيها بقيمة وزن الكاغد المقوّى[٢] .

٢٨ ـ المصنوعات من الورق

ذكرنا قبلًا في الكلام على القراطيس انه صنع منها سنة ٨٩/٧٠٨ قميص للقاضي عمران بن عبدالله كُتب فيه عيوبه لهجائه عامل مصر بابيات ثلاثة . وفي ايام الحاكم بامر الله « عمل اهل مصر صورة امرأة من ورق بخفّيها وازارها وفي يدها قصة فيها من الشتم واللعن والمخالفة شي. كثير فلما رآها ظنها امرأة فذهب من ناحيتها واخذ القصة من يدها فقرأها فرأى ما فيها فاغضبه ذلك جدًا فامر بقتلها فلما تحققها من ورق ازداد غيظًا الى غيظه »[٣] .

واذا صحت هذه الرواية يكون دليلًا على حذق الصناعة في مصر وبلوغها الغاية من الاتقان والتقليد . وقد فاتنا كثير من اسرار الحضارة ومزاياها في الصناعة والتجارة فلا عجب اذا غُرّ الحاكم بالصورة وهي امرأة منتقبة .

وكان الورق يدخل في اعمال الحِرَف وضروب من الملابس والازياء لا سبيل لنا اليوم الى تعدادها . ومنها على وجه التمثيل الطواقي الجركسية « يكون ارتفاع عصابة الطاقية منها نحو ثلثي ذراع واعلاها مدوّر مقبّب

١) معجم البلدان ٤ : ٥٣١

٢) *Relation du voyage de Nasiri Khosrau*. appendice p. 281.

٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٢ : ٩

وبالغوا في تبطين الطاقيــة بالورق والكثير «فيما بين البطانة المباشرة للرأس والوجه الظاهر للناس»[١].

وقد تقدم شعر العماد الاصبهاني وتشاؤمه ان كتبه تصبح من بعده بطائن للخفاف. وفي كتب الحسبة صدى هذه العادة قال عبد الرحمن الشيرازي يعني الاساكفة: «لا يعملون الورق واللبد واشباهه في اخفاف النسوان لكي تصر عند المشي كما يفعله نساء بغداد فانه قبيح وشهرة لا تليق للاحرار»[٢].

وكان الورق في الصين والخطا يدخل في جملة الثياب. حكى الشهاب العمري عن بدر الدين حسن الاسعردي ان بعض صناعهم عمل ثياباً من الورق وباعها على انها من الكخاوات الخطائية لا يشك فيها شاك. ثم اظهرهم على ذلك فعجبوا منه[٣] (مسالك الابصار).

ومما يجدر التنويه به هنا من مآثر الحضارة العربية انهم تنبهوا لحل الورق حتى يصير كالعجين واتخذوا منه بعض الاواني والادوات. قيل ان اول من تفطن له المهندس كريم الدين ابو بكر بن محمود السلماسي. قال كمال الدين الفوطي: قدم علينا سنة اربع وستين وستمائـة (١٢٦٥ م) الى حضرة مولانا نصير الدين بالرصد المحروس وكان له معرفة بحل الكاغد الى ان يصير كالعجين ويعمل منه الآلات كالاطباق والزبادي والمقالم وهو الذي صنع كرة من الكاغد وجاءت مجوفة في غاية ما يكون وخططوا عليها صورة الاقاليم»[٤].

ولكن بعض الفقهاء كانوا يكرهون هذه المصنوعات من عجين الكاغد لا شك خشية ان يكون بعضه قبل حله خط فيه اسم الله وكان فريق منهم يشدد فيه ويزجر عنه زجراً بليغاً. قال مؤلف «انتصاب الاحتساب» فعلى هذا القياس يمنعون من اتخاذ الطشت في الوليمة من الكواغد في العيد وليلة النصف من شعبان[٥].

---

١) الخطط للمقريزي ٣ : ١٦٨

٢) نهاية الرتبة في طلب الحسبة لعبد الرحمن الشيزري ٧٣

٣) صبح الاعشى ٤ : ٤٧٨

٤) تلخيص مجمع الآداب في معجم الالقاب طبعة الهند . جزء فيه كتاب الكاف في خزانة الجامعة العبرية بالقدس ٧١-٧٢

٥) نصاب الاحتساب للشيخ عمر بن محمد بن عوض الشامي الحنفي . نسخة في خزانة دار الآثار في القدس منقولة من المكتبة الخالدية .

الآثارُ المطويّة (تابع)

جمعها وعلق عليها ونشرها الاب انطونيوس شبلي اللبناني
رئيس انطوش جبيل

الشيخ ناصيف اليازجي يمدح الامير ملحم ابن الامير بشير الشهابي الكبير

أَلِفَ الشعراء في عهد الشيخ ناصيف اليازجي ، التقرُّب من الامراء والمشايخ الحكّام الاقطاعيين وذوي الوجاهة ، باطلاق ألسنتهم في مدحهم نثرًا او شعرًا ، تزلُّفا اليهم لنيل الحظوة لديهم ، لِمَا كان لهم من الصولة والسطوة والسيطرة والعظمة والمناعة والرهبة في النفوس ولِمَا في قبضة يدهم من الأكياس المنتفخة بالفلوس ، لذلك كان الشعراء يتبارون ويتسابقون الى إطرائهم وإلباسهم من حلل الوصف والثناء ثوباً فضفاضاً مجرَّر الذيول . والشاعر الذي تقع قصيدتهُ عندهم موقع الاستحسان والقبول ، يكون محسودًا مرموقاً بلاحظة الرضا والاعجاب .

وقد اعتاد هؤلاء الشعراء في ذاك العصر ، المنافسة والمسابقة في نظم الشعر وتضمينه الاحاجي والالغاز والتواريخ الكثيرة وانشاء الاوزان على حروف الهجاء محركات الاربعة الاطراف ، او من الجناس العاطل ، دليلا على قدرتهم وخبرتهم في صناعة النظم وتلاعبهم بفنّ الشعر وضروبه . وكانوا يرقبون الفرص لإعلان هذا المديح حتى اذا سمعوا بأن ذاك الامير او الشيخ الاقطاعي ذهب الى الصيد وظفر بالطرائد ، او عاد من سَفَر ، او انتصر في معركة ، او أطلق شعر لحيته ، او فرش ديوانهُ بالمقاعد والحشايا ، بادروا الى قصد القصائد في مدح هذا الامير او ذاك الشيخ ورفعه فوق السحاب ، ومنهم من ضمَّن قصيدته مئات التواريخ وبعض الاحاجي والالغاز . وكانوا يستهلّونها بالغزل والتشبيب متخطّين منه الى الممدوح جريا على عادة الشعراء الاقدمين .

وها اننا نرى الشيخ عبدالله البستاني « معلّم الفصحى وربّ بيانها » ينظم ثلاث قصائد لغوية ، شبيهة بقصائد عرَب الجاهلية ، في تهنئة العميد اللبناني البطريرك الياس الحويك بتسنُّمه عرش البطريركية . وقد ضمَّن الثانية منها

ستَّة آلاف ومئتين وستَّة عشر تاريخًا لسنة ١٨٩٩ التي فيها انتخب الحويك بطريركًا ، فسُمّيت « آية في المعجزات » والثالثة مؤلفة من اربعة ابيات ، فيها مئة وعشرون تاريخًا ، نظمها عندما أهدت الذاتُ الشاهانيَّة الى غبطته الوسام الاول المجيدي[1] .

وقد شطَّر الشيخ عبدالله معلَّقة عنترة الشهيرة فاستهلَّها :

« هل غادر الشعراءُ من متردَّمِ	فتشدُّ تُلمّته برأس المرقمِ
أم هل وردت ظِباء منعرج اللوى	«أم هل عرفتَ الدار بعد توهُّمِ»

وأودعها ما رقَّ وطاب للنفس ، من كَلِم الثناء على المطران يوسف الدبس ، وكشف عمَّا غمض من مفرداتها وابياتها وأثبتها في آخر مجموعة تهانئ الشعراء للدبس بعيد يوبيله الفضي[2] الذي جمعها البستاني ورتَّبها ووقف على طبعها ورفعها الى سيادته ، مختالةً ببرد تشطيره معلَّقة عنترة القشيب المحبَّر .

وممَّا هو معروف ، ان الشيخ عبدالله بعد ان أتمَّ تشطير هذه المعلَّقة تلاه على مسامع صديقهِ الاديب الكبير الشيخ ابراهيم الحوراني ، راغبًا اليه في إبداء رأيه فيه . ولمَّا اتم تلاوة القصيدة ، أعجب الحوراني بحسن سبك التشطير وسلامة المعنى وقوة المبنى اللـذين لا يفترقان ولا يشذّان عن الاصل ، واثنى الثناء المستطاب على مقدرة البستاني ، غير ان الحوراني لاحظ ضعفًا او اضطراب معنى في عجز احد الابيات فكاشف بهِ صاحب التشطير ، فاجابه البستاني : « ان عجز هذا البيت ليس هو لي ، بل لعنترة » . وكان الشيخ عبدالله من المعجبين بشعر عنترة ، وهو الذي رصّع ديوانهُ المطبوع في بيروت بهذين البيتين النفيسين :

ديوانُ عنترةَ العبسيِّ نابغةٌ	في كلِّ فنٍّ يفوق البدرَ والخضرا
ان لم يكن أفرسَ الفرسانِ عن ثقةٍ	فانهُ دون شكٍّ أشعرُ الشعرا

فبرهن الشيخ عبدالله بهذه القصائد البليغة الجبَّارة ، وبتشطيره معلَّقة عنترة العبسيِّ ومماشاته في صعيدٍ واحد ، على خبرته الواسعة وقدمهِ الفارعة في اللغة العربية .

---

١) طالعها في كتاب « لهجة الحق في تهانئ غبطة بطريرك الشرق » صفحة ٧٥–٨١ . مطبعة الارز ، جونية – لبنان . سنة ١٩٠٠ ، في ٣٦٦ صفحة بقطع كبير .

٢) كتاب « عرفان الجميل لصاحب اليوبيل » مطبعة جريدة المصباح ، بيروت سنة ١٨٩٧ ، في ٤٨٧ صفحة ، بقطع كبير .

ومما يدعو الى الاسف ، هو ان بعض ادباء عصرنا يعتبرون مثل هذه الآيات الباهرات في الشعر غير مستحبات اليوم ، ولا يستنكفون من الادلاء بهذا التصريح ! وان دلّ على شيء ، فعلى الاقرار من حيث لا يدرون ، بما اتاه ائمة اللغة وجهابذتها من البدائع والروائع الكاشفة الستار عن نبوغهم ومقدرتهم وضبطهم عنان الضاد ، شأن اربابها الفوارس الميامين .

٤

وقد نحا الشيخ ناصيف اليازجي بانشائه هذه القصائد في مدح الامير ملحم ابن الامير بشير الشهابي الكبير ، نحو صفيّ الدين الحلّي في مدح الملك المنصور بمحبوكاته الارتقية ، والفيزاني المغربي في منظوماته المحبوكة الطرفين المبنيَّة على حروف الهجا. المثبتة في صفحة ٣٣٢ من مخطوط خزانة دير الشير بمكين – سوق الغرب الذي نحن في صدده ، مما يُنبئ عن جودة قريحة الشيخ وقدرته على التصرُّف بضروب اللغة وخبرته بفنونها واساليبها وانقياد مفرداتها لهُ . وانا لا نستكثر ذلك على الشيخ ناصيف ، لانه كان موهوباً ويقدره رجال الادب والعلم قدره ، وقد باحثوهُ وراسلوهُ وأجلّوهُ ومدحوهُ بابلغ عبارات الثناء والاطراء . ولما انبثقت تلك المناظرة او المناقشة العلميَّة بين الشيخين فارس الشدياق وابرهيم اليازجي وبلغت من الاحتدام والاضطرام اقصى مدى[1] ، انبرى ابرهيم بك الاحدب والشيخ يوسف الاسير الشهيران لمناصرة الشدياق ، فاخذا يفلّيان وينتقدان بعض مؤلّفات الشيخ ناصيف ، فقال ولدهُ الشيخ ابرهيم عنهُ :

ان ممدوحَ اربعين كريماً لا يبالي «بأحدب» او «اسير»

وكان الشيخ ناصيف اشهر من نار على عَلَم ، يحجُّ بيتهُ الادباء والشعراء من جميع الطبقات والمذاهب ، للاستماع بحديثه والاستفادة من معارفه . وكان معروفاً بتمسّكه بعمامتهِ التي لم تفارق رأسه طوال حياته ، وكأني بهِ يقول عن نفسه :

انا ابنُ جلا وطلّاعُ الثنايا متى اضع العمامةَ تعرفوني

---

١) عليك بها في كتابنا «الشدياق واليازجي» مطبعة المرسلين اللبنانيين في جونية سنة ١٩٥٠ ، في ٣٥٠ صفحة بقطع كبير .

وقد أطلق على قصائده هذه اسم «المحصنات» ، وهي مسطَّرة في صفحة ٤٢٧ من المخطوط المذكور ، ومصدَّرة بهذه العبارة وهي :

« وله (للشيخ ناصيف اليازجي) قصائد في مدح الامير ملحم الشهابي ، كلّ قصيدة منهنّ عشرة ابيات مبنيّات على احرف الهجاء ، محبوكات الاربع وسمّاهنّ بالمحصنات »

قافية الالف

الى مَ جفاءٌ بل على مَ جفاءُ ... أهاجرتي علَّ الوصال خطاءُ
ألم تعلمي ان الجفا معظم الخطا ... اذا صحَّ بين العاشقين ولاءُ
أضعتِ عهودي في هواكِ وانَّما ... أضعتُ حياتي ، حيث ليس حياءُ
أيحسن ما بين المحبّين هكذا ... أبى اللهُ ، ان المنكرات جزاءُ
أنا سيدُ المشّاق طرًّا لأنَّما ... أظلَّ مِلاحَ العصر منك لواءُ
أخذتُ هواك الجوهرَ الفردَ عندما ... أخذتُكِ ذخرًا يخيلَ منهُ غناءُ
أريتُ فنونًا في البديعِ أجلُّها ... إشابةُ رأسي ، والزمانُ صباءُ
أمانًا من الشوق المبرّح بعدما ... أصاب الضَّنَى جسمي ، وعزَّ شفاءُ
ألا وقفةً في الربع عندكِ ريثما ... أبثُّ اليكِ الوجد كيف اشاءُ
اذا لم يكن لي في الهوى صلةٌ بما ... أسرُّ ، فعندي بالعتاب رضاءُ

قافية الباء

بين الدموع ومقلتيَّ كتائبُ ... برزت فولّى النومُ وهو الهاربُ
باتت ومنها في الجفون تقلُّبٌ ... بُذلت لديهِ من الدماء سواكبُ
بأبيكَ دعْ عنك الملامة واتئبْ ... بعد الوقيعةِ في الهوى يا صاحبُ
بي علّةٌ لم يأتها متطبّبٌ ... بشفا ، فكان لها عذابٌ واصبُ
برح الجفاء فخذْ ولستُ بمُعتِبِ ... بيدي ، وعلّك في النهوض مجاذبُ
باحتْ دموعُ العينِ ، وهي سواكبٌ ... بسرائري ، فأنا المبيحُ الحاجبُ
بُعدًا لهنَّ مدامعًا لن تكتبْ ... بعضَ الجمودِ ، بما لهنَّ ترائبُ (١
برئتْ وعقّتْ ، والعقوقُ مسبّبٌ ... بالبرّ ، وهي طوائحٌ ونواهبُ
بئس المصيرُ ، وما دموعي إنْ تُجبْ ... بالمذنباتِ ، وللدموعِ نوادبُ
بدَلَ الهلالُ طلوعهُ لتجنّبِ ... بالحجْبِ ، فهي مواطرٌ وسحائبُ

---

١) عظام الصدر (في الاصل) .

قافية التا.

تجلّت علينا بارد السندسيّة ... ترينا وميض البرق ضمن الدجنّة
تماثيلُ خيات ملاكٍ جلالة ... تلقّي بفيض الوحي أهل النبوّة
تلت مقلتاها سورة الفتح ليلة ... تلا عطفها السبع المثاني القديمة
تميميّة أخلاقها خندفيّة(١ ... تنادي علينا عينها يا لمرّة
تبارك ما أحلى وألطف ما أنت ... تصوّر في الأبصار حوراء جنّة
تراءت لعيني في الحجاب فأوشكت ... ترى لن تُرى لو لم تري حجبها التي
تملّقت الأبصار منها بما رأت ... تملّق روح النبب منها بحضرة
تمشّت بها كالوهم في النفس فانثنت ... تعود على رسم الهدى بالحقيقة
تعشّقتها منذ الصبا فتمشّقت ... تلاقي الحاظ لها كالمنيّة
تميت بها فاعجب وإن هي كلّمت ... تراها ، وما في كفّها الصور، أحيت

قافية الثا.

ثنى عطفهُ عني الهوى وهو عابثُ ... ثناه ، فهل يا ثاني العطف ثالث
ثمولٌ بصهباء الدلال محدّثٌ ... ثرى ارضهِ ، ان النجوم نوافثُ
ثوى في الحشى لكنّهُ غير محدث ... ثوى في الحنايا فهو فيهنّ ماكثُ
ثقيلٌ من الاعراب ردفًا مدمّثٌ ... ثنايا عهودي خفّةٌ فهو ناكثُ
ثناياهُ(٢ دُرٌّ بالعقيق مثبّتٌ ... ثمينٌ ومنهُ الدُرُّ حين يحادثُ
ثنيفُ قوامٍ مائل القلب كم تجثّثت(٣ ... م دونهُ الاوصال والوصلُ باعثُ
ثبوتٌ على تيهِ النفار مرنّثٌ ... ثياب الوفا مستقبل العذر حانثُ
ثبرتُ(٤ به من لامني وهو محدثٌ ... ثبوري فهل ودٌّ جزاهُ الكوارثُ
ثلمتُ شبا الاعراض عنهُ ولم يئث ... ثليم الحشى من لحظهِ وهو فارثُ
ثبتُّ الى ان مات صبري ولم ارث ... ثوابًا سوى ما عوّدني الحوادثُ

قافية الجيم

جبينك من زُهر الكواكب ابلجُ ... جمالًا ومن زَهر الكواكب(٦ أبهجُ

١) الخُنذُوف : المتبختر في مشيهِ كبرًا وبطرًا.
٢) ثنايا : مدمّث تلال ممهّد (في الاصل) .
٣) تجثّثت : تقطع (في الاصل) .
٤) ثبرهُ : طردهُ (في الاصل) .
٥) قاطع (في الاصل) .
٦) الكواكب الاولى : النجوم . والثانية : ما طال من النبات .

جمت البها فالناسُ من كلِّ منهجٍ ... جميعًا جانيكَ المحاسن تلهجُ
جلوت المحيَّا في العقيق فمالجٌ ... جوانبها تحت الدجنّة ترهجُ
جعلت لطمر الليل غير مفرّجٍ ... جيوبًا بفراض الشعاع تُفرّجُ
جرحت بسهمٍ من لحاظك خارجٍ ... جوارحَ ظلّت بالدما تتضرّجُ
جنيتُ الذمى منها بلحظٍ متى يلجْ ... جهات الحشى نادى عليها الا أخرجوا
جفونك في الاكباد وهيَ غوانجٌ ... جفونٌ لها بانت بها تتفلّجُ
جرى دون خدّيها من النار مارجٌ ... جلاها وظلّت بالدما تتهيّجُ
جَزمت بارعاد الفرائص ان تجج ... جبالٌ من الردف انثنت تترجرجُ
جلبتُ الهوى منها فكان لعائجٍ ... جنونًا ولكن اين اين المرجَّجُ

قافية الحاء

حبّذا ما شربتُها كأس راحٍ ... حلوة الطعم راحة الارواحِ
حرّةٌ غرّةٌ صراحٌ رداحٌ ... حُسبت من معادن الافراحِ
حار فيها فؤادُ كلِّ فصيحٍ ... حينما جاءَ ذكرها بافتتاحِ
حُصر النطق دونها عند شرحٍ ... حسبكَ الذكر يا أخا الشرّاحِ
حيثما لاح ذكرها في مديحٍ ... حوّل الليل في اهاب(١ الصباحِ
حسدت أنجمُ الاثير ضواحٍ (٢ ... حَبَبًا لجنَ فوقها كالصحاحِ
حملت في قلوبنا وهي رَوحٌ ... حيَّ هل(٣ بالصلاح نحو الصلاحِ
حرِّمت شربها على غير ناحٍ ... حانها قبل صوت داعي الفلاحِ
حكّم الكفَّ بالاكؤس واسمح ... حكمةً بالاحداق في الاقداحِ
حسنٌ ان رجعتَ مني بنصحٍ ... حنذرًا ان تبيت يا صاحِ صاحِ

قافية الخاء

خذها على الاوتار وهي صوارخُ ... خمرًا لها صافي الزجاج برازخُ (٤
خلّابةٌ غلّابةٌ من لم ينخْ ... خذًا لها فيبيتُ وهو الراضخُ
خودٌ من الماء الزلال لها اخٌ ... خُطبت اليه وليس عقدٌ فاسخُ

---

١) اهاب : جلد (في الاصل) .
٢) الضاحية : الناحية البارزة والظاهرة من كلّ شيء . ج ضواحٍ . ومنهُ يقال: شكت ضواحيه اي ما برز منهُ للشمس كالكتفين والمنكبين .
٣) حيَّ هل : اعجل (في الاصل) .
٤) استار (في الاصل) .

خلقت وقد زُفّت اليه بأفرخ   خفقت عليه كأنّها تتشامخُ
خُلقت من العصر القديم ولم تَشِخ   خورًا فترضيها لذاك مشايخُ
خاضت مامعهُ فكان تلطّخٌ   خضبت به وكذا الدماء لواطخُ
خلع النديم حجابها فضمّخٌ   خزف الدنان وناشقٌ متبازخُ (١
خجلت فألهبها الحياء فلم تبخْ   خفرًا ولو أُلقي عليها الناضخُ
خانت معاهدها السقاةُ فلم تصخْ   خبثًا لما يدعوهُ صوتٌ صارخُ
خدعت فجاءة الحتف وهو مرسّخٌ   خبر التناسخ ان يصحّ تناسخُ

قافية الدال

درْ بكأس المدام يا ابن الجيادِ   درْ بكأس المدام وانعش فؤادي
دع لظى مهجتي تقرُّ ببردٍ   دائمٍ من لحيبها مستفادِ
داوِ سقمي بها فعنديَ وجدٌ   داؤهُ كان أكُلَ الاكبادِ
دافع الروح فاسقنيها لردّ   دونِ ذاك الدفاع قبل الطرادِ
دار اوشيك واجلها بين وردٍ   ديجنهُ بأحمرٍ وقّادِ
دميةٌ من رضابها لك شهدٌ   دانيات قطوفهُ للايادي
دنّها معدن الحياة ووِردٌ   دافقٌ بالسرور للورّادِ
دأبها شنُّ غارةٍ بجنودٍ   دحضت بالصلاح جيش الفسادِ
دم على وصلها اللذيذ مؤدٍّ   دينَ مفروضها على كلّ صادِ
دينَ حقٍّ يراهُ كلُّ رشيدٍ   دينَ حقٍّ فكن من العبّادِ

قافية الذال

ذو جذوةٍ (٢ يجثو لديها الهربذُ (٣   ذخرًا وخذها ذات نورٍ تؤخذُ
ذهبيّةٌ ليست بذات تفلّذٍ   ذهب الظلام بنورها يتفلّذُ (٤
ذرّت لنا في الكأس لاهبةً تذ   ذرّت خشبتُ على الزجاجة تنفذُ
ذهل النديم فجاءها بالماء اذ   ذاك اللهيب مخافةً يتعوّذُ
ذات احتجابٍ في الخدور فلم يلذ   ذو الستر ساحتها ولكن ابن ذو (٥
ذرت الدموع لخفكها من آخذ   ذلًّا وأومت اين اين المنقذُ

١) متقاعس (في الاصل).

٢) جمرة لا تخمد حتى ترمد (في الاصل)

٣) كاهن المجوس (في الاصل)

٤) يتقطع (في الاصل).

٥) ابن ذو — الستر. وهو اكتفاء.

ذعنت وكانت لا تلين لشامذٍ (١) ذيل السطاء وطالما تستحوذ

ذبلت لشربها المياه فقلت اذ ذبلت لعمرك حار فيك الجهبذ (٢)

ذقها على عبث النديم بها ولُذ ذا المنتدى (٣) ان كنتَ من يتلذَّذ

ذُد (٤) عندها ذكرى حبيبٍ واتخذ ذكرى الكؤوس فما سواها يُنبذ

قافية الراء

رؤياك في عين المشوق الباصرِ ريٌّ تنزَّه عن صدور الصادرِ

رمقت محاسنك العيون فلم تذرْ رمقًا لعين محاسدٍ في الخاطرِ

رعيًا لوجهك من هلالٍ نيّرٍ رعت الغزالة نوره من باكرِ

رمد الحسود به فقلتُ له اذَّكِرِ رجمان حسَّاد الإمام الناصرِ

راقي العلى شرفًا اميرٌ زاجرٌ رِيَبَ الحوادث صاغرًا عن كابرِ

رحبُ الذراع من النضار مشطَّرٌ ردفين بين ميامنٍ ومياسرِ

رامت حواسده انتحالَ نظائرٍ رُدَّت وقد ظفرت بحال القاصرِ

رسمت بأنفسها الصفات فلم تمرْ رسمَ الصفات حقائقًا من قادرِ

رفعت لمجدك يا سلالةَ حيدرٍ رايات حول الله بين عشائرِ

راضت مناقبك الرواةُ فحاسرٌ رقَّت حواشيه لحسرةِ آخرِ

قافية الزاي

زيَّن نظمي وصفك المعجزُ زيَّنته خودٌ بالحلى تبرزُ

زخرفتُ ايانًا به لم تمز زخرفَ ما صاغوا وما طرَّزوا

زاوج عيني نصبها ان تمزْ زاخره والنصب ما ميَّزوا

زهت قوافيه فان ارتجزْ زها لديَّ الحظُّ والمركزُ

زففتُها كالخود لم تستجزْ زائرها إلَّا رضًى يحرزُ

زهرٌ ارتنا طلعةً لم تغزْ زُهرُ العلى فيها ولو عزَّزوا (٥)

زحْ حجبها وانظر اليها ورزْ زخرفها هل كان ما يكنزُ

زلَّت لواحيها فلم ينتهزْ زيدٌ وعمرٌ وبعض ما يلمزُ

زوامل من ذكركم لم تجزْ زجرًا لها والسيرُ مستوفزُ

زارتك فانفحها قبولًا وخُزْ زاخرَ شكرٍ كان لا يُعجزُ

---

١) شذ ذيلهُ : رفعهُ (في الاصل).

٢) النقَّاد الخبير (في الاصل) .

٣) المنتدى : المحفل (في الاصل) .

٤) ادفع (في الاصل) .

٥) اشارة الى قول عبد المجيد (في الاصل).

قافية السين

سواكَ يميلُ عن أدبِ النفوسِ   ساءَ او يميلُ الى الكؤوسِ
سلمتَ من العيوب فانتَ رأسٌ   سموتَ جلالـةً بين الرؤوسِ
سانكَ لا يجارِها النباسُ   سوافرُ في المآثرِ كالشموسِ
سجايا كالعقود سنًى ونفسٌ   سنيّةٌ جوهرٍ فردٍ نفيسِ
سليل الحرس المخزوم غرسٌ   سقاك اللهُ يا خير الغروسِ
سلكتَ طريقةً ونـداك درسٌ   سيرك في القيامِ وفي الجلوسِ
سهرتَ على الكمال ولست ناسٍ   سوالف عهـد حرمتهِ الرسيسِ
سعيتَ الى طلاب المجد حاسٍ   سلافَ المجد لا بنتَ القسوس (١)
سبقتَ الى المحامدِ غير نكسٍ   سباقَ الخيل في حرب البسوس (٢)
سُقيتَ من الفضائل كلَّ كأسٍ   سبت بالصفو كأسَ الخندريسِ (٣)

قافية الشين

شهد الفضلُ فيك غير مُحاشِ   شائعًا في كمالـك الدهّاشِ
شاهدتك النفوسُ في ظلّ عرشٍ.   شاده اللطفُ فانثنت بانتعاشِ
شاقها منك طلّق وجهٍ بشوشٍ   شفَّ عنها فلالأت في الغواشي
شغفت منـهُ صبوةٌ بحواشٍ   شاركت دونها الدما في الحواشي
شاع في الصُحف من صفاتك رقشٌ   شبهَ روضٍ بزهرها في انتعاشِ
شرحبا عجبـةُ العقولِ منشٍ   شُهُبَ الفكر ليس بالمتلاشي
شغُلٌ لي بذكرها وانتعاشٌ   شدَّ ازري فشدّني في انتعاشِ
شاعرٌ شاعرٌ جنًى موشٍ   شنّة الشعر شبه وشي الرياشِ
شرع الشهمُ في صفاتـك منشٍ   شمرهُ فانثنى بعزمـة جاشِ
شرّف اللهُ فيك أرجـاء عرشٍ   شرّفتهنّ منك خطوةُ ماشٍ

قافية الصاد

صفاتك تبرٌ في الصحائف مخلصٌ   صحائفهُ كادت هنالك ترقصُ
صفت رقّةً حتى حكت وهي غوّصٌ   صبا نجدَ في عرف الكبا (٤) تتقمّصُ

---

١) يريد بنت القسوس : معتّقة الدير ، اي الخمرة .
٢) لقب ناقة قام بسببها الحرب بين بكر وتغلب سنة ٤٠ (في الاصل) .
٣) من اسماء الخمر (في الاصل) .
٤) الكبا : البخور (في الاصل) .

صحائفُ نبرٍ نُزّهت من نقائصٍ ... صوادعُ حسنٍ نورهنَّ محصحصُ (١

صدعنَ قلوبَ الحاسدين فان نمص ... صبا نحوها منهم جريرٌ وأخوص (٢

صفا للكورِدُ الدهر من متخصص ... صفاءٌ باطف الله لا يتربّصُ

صبوحٌ صفوحٌ حافظ العهد مخلصٌ ... صمودٌ لهُ في ذروة المجد أخمصُ (٣

صدوقُ روايات الخطاب منصّصٌ ... صدوعٌ بآيات الكتاب مُلخّصُ (٤

صبورٌ على هول الوغى غير ناكصٍ ... صدومُ حنايا الشوسِ والشوسُ(٥ ناكصُ

صيودٌ لهُ عضبٌ شجيٌّ مفصّصٌ ... صديُّ الحُشى في سُوقهِ الدمُ يرخصُ

صقيلٌ حكى لمّا أتى وهو قانصٌ ... صبيّاً بقرطٍ من عقيقٍ يُخرّصُ

قافية الضاد

ضاءت بمناك قوافي القريضْ ... ضمن تجلّيها الطويل العريضْ

ضاهت بهِ الشمس فإمّا تغضْ ... ضلَّ النهى ثمَّ اهتدى بالوميضْ

ضاق مقاليداً بكم خائضٌ ... ضاع وقد هام بذاك الحضيضْ

ضرَّ بهِ الحوض فان يرتبض ... ضاءَ به الوجدُ فأنشا يفيضْ

ضممتَ شمل المجد لم ينتقض ... ضأً وأجريتَ الندى لا يغيضْ

ضمنت بالنصر لمتنهضٍ ... ضمانك الادغام للمستهيضْ

ضربتَ سرداقاً لمتعرضٍ ... ضوء القرى تبدو ثناياك بيضْ

ضربك دون الوحش من ايضٍ ... ضيافةٌ والزادُ لحمٌ غريضْ

ضع يا اخي الوقرَ فمن يعترضْ ... ضاحي الضحى عاد بطرفٍ غضيضْ

ضمّنْ بهِ وارجع لهمْ وانتهضْ ... ضعفاً وقل اني الصحيحُ المريضْ

قافية الطاء

طلتَ باعاً اصابات الخطط ... طالب الالغمة عمّاً فرطْ

طبتَ اصلاً ثمَّ فرعاً فاغتبط ... طيّب النفس لك الدهرُ غبطْ

طاعك الدهرُ فأنّى تشترط ... طلباً فالدهرُ من بعد الشُرَطِ (٦

طاف سبعاً حول يمناك فنطْ ... طرفهُ الأيسرَ بالرضوى فقطْ

---

١) واضح (في الاصل) .

٢) شاعر (في الاصل) .

٣) باطن القدَم (في الاصل) .

٤) يريد بالكتاب : الكتاب المقدَّس المعروف بالتوراة .

٥) الاشوس : الجريء على القتال الشديد ج شُوس .

٦) الجنود (في الاصل) .

طمت النعمى لكم من حائط ... طبمهُ باخطَ منها والنقط
طاهرُ القلب رحيمٌ مقسطٌ ... طربٌ بالجود محمود النمط (١
طَلِقُ الكفِّ حصيفٌ ضابطٌ ... طرفهُ دائرة الكون ضبط
طارقُ الهيجاء قِرنٌ ضاغطٌ ... طالعٌ رايتهُ لم تُرقَ قط
طاعنٌ أسرهُ ان يختبطْ ... طرفاهُ كان مثواهُ الوسط
طال عمراً في نعيمٍ باسطٍ ... طالما مدَّ الصباحُ وانبسط

قافية الظا.

ظفرت بوجهك أعينُ الالحاظِ ... ظفرَ المسامع منك بالالفاظِ
ظهرت خلالك في المدى فملاحظٌ ... ظرفاً لها ومولَّعٌ بحفاظِ
ظنَّ الحسود بلوغها بتيقُّظٍ ... ظنَّ الوهاد تساوياً بشناظِ (٢
ظمئت عداتك منك فهي فوائظٌ ... ظمأً تواصل حرَّهُ بشواظِ (٣
ظلٌّ لذات الفضل انت محافظٌ ... ظمنَ الفضائل باللطائف حاظِ
ظلَّافُ نفسٍ (٤ عن هواها مبهظٌ ... ظهرَ العفاةِ برفدك البهَّاظِ
ظامٍ الى نيل العلى متيقّظٌ ... ظامي المهنَّد يوم خوض عكاظِ (٥
ظلمت يداك الودق فهي جوائظٌ (٦ ... ظلماً تريك تصاحبَ المتاظِ
ظرفت سجاياك الرقاق فلم تغظ ... ظلماً (٧ وعندك مكنةُ الاحفاظِ (٨
ظلَّت ديارك خير ماجإٍ حافظٍ ... ظعنت اليه كتائبُ الاوشاظِ (٩

قافية العين

على ديارك اوطارُ العلى تقعُ ... علماً بانك للاوطار منتجعُ
عوَّدتها العزَّ ثوباً غير منتزعٍ ... عنها وعادتها في ربعها الورعُ
عروسُ خدرٍ لها في مهرها بِدَعٌ ... عفيفةٌ ما لها في غيركم طمعُ

١) الطريقة (في الاصل) .
٢) حرف الجبل (في الاصل) .
٣) لهيب النار (في الاصل) .
٤) عن كذا . . . (هنا كلمة طارت بالمقراض) . رجلٌ ظلف النفس ، اي نزّهها .
٥) عراك (في الاصل) .
٦) جاظ (في الاصل) .
٧) الظلع : الضيق (في الاصل) .
٨) الاغضاب (في الاصل) .
٩) الجماعات (في الاصل) .

عاجت اليك فعادت بالحبور فدعْ عهدَ التآلف فهيَ ما تدعُ
عزّت بسيفك تيهاً وهو ملتمعٌ عزّ الحسام بكفٍ منك نصطنعُ
عضبٌ متى سلّ من يمناك في ذمعٍ عرفت كيف الصبا سالت له نبعُ
عاد البراقُ وميضاً وهو منترعٌ عند القتال غشاءً ظلّ يرتفعُ
عمّ الثرى منهُ خالٌ وهو منتفعٌ علّا وكم لاح برقٌ ليس ينتفعُ
عش بالسعادة يا مولايَ في مُنعٍ عن الزمان وسعدٍ ليس يمتنعُ
عالي المراتب ما غنّت على قِطعٍ عنادلٌ طاب من تغريدها السمعُ .

قافية الغين

غيرك من بالى بخطبٍ بالغٍ غمّاً ومن بات بليلٍ نابغي (١
غيّرَ اسلوب المذيَ ولم ترغ غبناً على حؤول حالٍ زائغٍ
غلامك الدهر وليس سائغٌ غصّةٌ سوى دواك السائغِ
غلبتَ بالله سطاءَ مبتغٍ غلبك ، فارتدَ بحالٍ فارغٍ
غاثك ربّي من إمامٍ بالغٍ غاياتِ مجدٍ جلّ في المبالغِ
غزيرُ فضلٍ للعفاة نابغٍ غديرهُ الفائض بالتوابغِ
غوثٌ اذا حُثّت اليه ارسغٌ غاصت جامات المدى اللواذغِ
غالبُ طول في الوغى مصبغٍ غبر المذاكي(٢ بالدما البوائغِ (٣
غصنٌ على نقا كثيبٍ دابغٍ (٤ غلافهُ من رفدهِ السوابغِ
غضّ الصبا ان لاح وهو بازغٌ غارت عيونُ الشُهبِ البوازغِ

قافية الفا.

في نسج مدحك يحسنُ التفويفُ في الناظماتِ فكلّهن شغوفُ
فرضٌ علينا الجريُ فيهِ فإنْ نقفْ فالتيهُ من عاداتهِ التوقيفُ
فملت لطائفهٗ بفعل مؤلّفٍ فعلَ السلافِ فحبّذا التأليفُ
فكأنّ فكري في صفاتك إنْ أصفْ فلكٌ بهِ زُهرُ النجوم تطوفُ
فعلى ديارك من تحيّةِ مشغفٍ فقرٌ رسولُ جريرها المحدوفُ
فهي البروجُ حوت نجوم عوارفٍ فيها يلوحُ الكوكبُ المعروفُ

---

١) اشارة الى قول النابغة الذبياني (في الاصل) .
٢) المذاكي : الخيل الفتيّة (في الاصل) .
٣) وباغ دمهُ : هاج (في الاصل) .
٤) دابغ : ناعم (في الاصل) :

فلأطرقنَّ ربوعها بزفائف	فوقَ السجوف لها السَّماعُ سجوفُ
فتنت مقاصير الخيامِ بزخرفٍ	فـأنت وكان العاطفُ المعطوفُ
فاليكها كالخَود ذات مراشفٍ	فلجٍ حكاها الكوثرُ الموصوفُ
فرَّت الى علياك وهي هواتفٌ	في نسجٍ مدحك بحسنُ التفويفُ

قافية القاف

قسماً بصبح جبينك المتألّقِ	قد زال من مكنون صبري ما بقي
قلَّ احتمالي في البعاد ولم نطق	قدمي التقدُّم من مهابة مشفقِ
قدَّمتُ من خُطواي اليك فتُقى	قرب الديار وسابقٌ لتشوّقي
قُلْ فـادنُ مؤمّناً فحلمي لم يضقْ	قبلًا على سعةِ الجلال المطبقِ
قرَّت عيونُ الزائرين به فشق	قلباً ودونك عصمة فتعلّقِ
قُمْ فاجنِ ما تهواهُ نفسك واعتنق	قِطعَ الجواهرِ من يديَّ ومنطقي
قسمت بناني من حبايَ لطارقٍ	قسماً بهِ نبيَ المسافرُ ما لقي
قالت لهُ وغديرها متدفّقٌ	قف حجرةً[١] قبل الثجاج المغرق
قلَّدت عنق الدهر حتى لم يرقْ	قطفُ[٢] اللآلئ عنهُ في الأعنقِ
قومي بنو بدرٍ واني لاحقٌ	قومي على نهج الكمال الضيّقِ

قافية الكاف

كرمتَ خلقاً وخُلقاً ايُّها الملكُ	كأنما انت من افق العلى مَلَكُ
كرعتَ من كلّ فضلٍ جلَّ عن دركٍ[٣]	كأساً طهوراً من التقوى لها دَرَكُ[٤]
كرمتَ كفّاً فما بالمال من مُسُكٍ	كلّا وفهتَ فمن انفاسك المُسَكُ
كفلتَ للخلق رزقاً غير منتهكٍ	كانت طلائعهُ للبؤس تنهتكُ[٥]
كدتَ العدى بجنانٍ منك مشتركٍ	كنها بشدَّة بأسٍ ظلَّ يفتتكُ[٦]
كافحتهم بحسامٍ غير ذي سهكٍ[٧]	كالبرق من دونه الامطار تنسفكُ
كم راح منك شديد البأس في ضنكٍ	كرباً وكم راح عافٍ هزّهُ الضحكُ

١) قف حجرةً : ناحيةً (في الاصل) .

٢) القطف : العقد (في الاصل) .

٣) لحاق (في الاصل) .

٤) قرار (في الاصل) .

٥) تضعف (في الاصل) .

٦) امكنهُ . . . (هنا كلمة ذهبتُ بالمقراض) .

٧) السهك : . . . هنا كلمتان قطعها المقراض .

كالبحر يترك موّارًا على هلك ... كلّ الأسود وتنجو ضمنه السمك
كن يا أبن حيدر صابًا عند معترك ... كرهًا ، وشهدًا اذا ما فات معترك
كفيت ربعك جدبًا فهو في ضحك ... كأنك البدر غنًا والحمى فلك

قافية اللام

لولاك يا حدث القضاء المُنزل ... لم يفصل الاعناق حدّ الفيصل
لبس الحديد مضاك متشحًا فقل ... لله درّك يا فرند المنصل
لقيتَ عزائك المجاجَ فلم ترل ... لذكائها تُصلي رطيبَ القسطل (١
لو تسأل الابطال عنها لم تطلْ ... لنةً لأنَّ جراجا لا تسأل
لعبت باقندة الرجال فراجلٌ ... لحق الفلا وسواهُ لم يترجّل
لجموا الخيول ومن سطاتك إنْ تَصُلْ ... لُجُمٌ لهم في الحرب لم تتحوّل
لسبت ترائبهم حماةٌ عوامل ... لطوال سمرك وهي ذاتُ تملل
لمّا التوت كالرقم وهي عواسلٌ ... لقفت نفوسهمُ ولم تتمهّل
لك في المدارج يا كريم سلائل ... لوحٌ تلقّب بالطراز الأوّل
لبّت دعاك الحادثاتُ ولم تقلْ ... لبّيك إلّا وهي صدرُ المحفل

قافية الميم

ما بال سيفك في الغداة يُقسِّمُ ... ما كان ملثمًا وانك مُلجمُ
ماضٍ اذا ما صحتَ خاف فلم يقم ... من خوفه فمضى بجا يتكتّمُ
متوقّدٌ لم يطفِ بعض نضرُمِ ... ماء الخشى من صفحتيه ولا الدمُ
مسَّ الترائبَ فاحترقنَ بمعظم ... ممّا به فلها الدخانُ الأقتمُ (٢
ما زال قائمُهُ يزقرق من دمٍ ... مثل الغامة(٣ رقَّ منها المرزمُ
ماجت لديه الارض ذات تبسّمٍ ... موجًا فذا موسى وتلك القلزمُ
مضت الرجال لديه وهي هزائمٌ ... من كلِّ باكٍ وهو أبلجُ يبسمُ
من لي بفائلة تقول لبيضهم ... من ذاق طعم دمِ الفوارس يعلمُ (٤
مولايَ عش في عزّةٍ واسلمْ ودُمْ ... متنعّمًا بسعادة لا تختمُ
ما ناح في فنن الغصون حمامُ ... مَيلًا وغرّد بلبلٌ يترنّمُ

١) النبار (في الاصل) .
٢) عبارة عن النبار (في الاصل) .
٣) الغامة : السحاب . . والمرزم : . . . . (هنا كلمات طار نصفها بالمقراض)
المُرزم : الاسد .
٤) عبارة عن ان سيوفهم لم تذق طعم الدم (في الاصل) .

قافية النون

نادت ظباك وحالُ السكر برهانُ ... نعمْ نعمْ ان هاماتِ الِمدى حانُ
نالت بها من دمٍ خمراً ومن بدنٍ ... نقلًا عليه صليلُ الوَقع ألحانُ
نورٌ اذا ما أنجلت تُجلى بها دُجنٌ ... نارٌ لها جثث الابطال قربانُ
نواهبٌ لم ترد(١ في ضبهنّ فمن ... نضالها في سبيل الحق رضوانُ
نضوعها مستطيراً بالبنان فان ... نبذعها فبنانُ الكفّ ريّانُ
ناسبت شأن السجايا بينهنّ فمن ... ندى يديك استفادت فاستوى الشانُ
نعم البلاغُ بلاغٌ نلتهُ حَسَنٌ ... نامت عليهِ الليالي وهو سهرانُ
نافستَ عصرك بالحلم النفيس فمن ... ناداك لم يدعُ ·إلّا يا سليمانُ
نِطْ درَّة الحمد في جيدالكمال وكنْ ... نفساً فان معالي المجد ابدانُ
نعمتَ بالآء ودم بالله في مننٍ ... نعيمها ببقاء العمر يزدانُ

قافية الهاء

هذا الشهابُ فقُمْ بنا لنراهُ ... هنئت عيونٌ في الضحى تلقاهُ
هو ملحمٌ فاعجب وزهر جمالهِ ... هشت بهنّ من الدجون جباهُ
هاد حكى بدر الدجنّة حولهُ ... هالات سعدٍ أحدقت بعلاهُ
هلَّت أشعّتهُ فدام كمالهُ ... هيهات نقص اهلّة ينشاهُ
هند(٢ الدراري عارضٌ طلقٌ لهُ ... هربت جيوش الليل عند لقاهُ
هات فلو نطقت وقد علقت بهِ ... هتفت توحّدُ ليس إلّا اللهُ
هويت شائلهُ العباد ولطفهُ ... هل للعبادِ تفضُّلٌ جواهُ
هزّت به ولها منّى في ذكرهِ ... هلّا انت وجميعها افواهُ
هصرت(٣ عراجين الخطوب بطولهِ ... هزّاً وكنّ حيالذلّا لولاهُ
هابت عزائمهُ فبانت عندهُ ... همُ الزمان فبتنَ تحت لواهُ

قافية الواو

وحرمة بحر جودٍ منك رهوٍ ... وبيض مكارمٍ تُروى وتُروي
ولطف شمائلٍ غرّاء تصحو ... ولبس بمن رآها بعض صحوٍ
وسودة عزمةٍ كالنار تذكو ... ولينٍ كالمياه ذوات صفوٍ

---

١) لم ترد : لم تأثم (في الاصل) .
٢) هندتهُ المرأة : اورثته عشقاً (في الاصل) .
٣) كسرت . والعرجون : العود الملتوي كأنه نصف دائرة (في الاصل) .

وشأنك ان شأنك روض زهرٍ   وشأني في صفاتك نظم شجوِ
وُجودك في ربى لبنان ضوءٌ   وجُودك فوقها امطارُ نوّرِ
وسمت رباهُ بالانوار تجلو   وضيءٌ كأنّما جبريلُ يثوي
ولُبتَ على المكارم وهي تسمو   ولا عجبٌ بذاتك كلّ شأوِ
وبتّ بسورة الانعام تتلو   وفاً بعهود خالقك المسوّي
ورودُ الشعر في مغناك تحلو   وكلُّ النظم فيك أجلُّ بأوٍ(١
وصلتُ بهِ الى علياك ارجو   وصالَ البرّ من عذرٍ وعفوِ

قافية اللام مع الالف

لآلئُ المدح فيك يا ابن جلا   لاقَ بمن النظم مرتجلا
لاح لديّ ضياها مشتملًا   لان غدا العقلُ فيهِ مشتغلا
لا بدع ان اورثت بنا غللا   لأنّها أحدثت لنا عضلا
لازمتها فانثنت تقولُ ألا   لا حول باللهِ قلتُ ولا
لأنت يا ابن الكرام بدرُ علا   لامعُ نورٍ يجاورُ الحلا
لاقيت جنح الخطوب منسدلا   لاشيتهُ فانجلى وقدْ خجلا
لألأت يا بدرُ في سما ملاءٍ   لاحظتهم بالضياء مكتملا
لانّ لديك الزمانُ ممتثلا   لأيّ امرٍ ندبتهُ فعلا
لاذ بك المستجيرُ مبتهلا   لاجٍ فعادت نبالهُ أسلا
لا زلتَ بالطيّباتِ متصلا   لا عطفَ في فعالها ولا بدلا.

قافية اليا.

يمّي يمّي الوحى يا مطيّ   يمّ جودٍ عبابهُ(٢ عسجديّ
يا حواديّ ان كنتِ انتِ الصوادي   بروئك الوِردُ وِردُهُ الكوثريّ
يا لقومي من سيّدٍ اريحيٍّ(٣   يدهُ بالسماح بحرٌ طميّ
يافعٌ نافعٌ نقيٌّ تقيٌّ   يققٌ(٤ الوجه كوكبٌ درّيّ
يامرٌ سيفهُ يمين المعالي   يلبٌ(٥ دون ذاتها يثربيّ

---

١) الشعر السالم من العيوب (في الاصل) .
٢) العباب : معظم الماء (في الاصل) .
٣) اريحيٌّ : واسع الصدر (في الاصل) .
٤) يقق : ابيض (في الاصل) .
٥) يلبٌ : الدرع (في الاصل) .

يوسفيٌّ جمالُهُ ، حاتميٌّ يومَ جودٍ ، وعدلُهُ كسرويُّ
يَقِظٌ بات في اهاب الليالي يرقب النجمَ فكرُهُ اللوذعيُّ
يتْبع الدهرُ امرَهُ كالغواني يتتابعنَ حيث جاء الرويُّ
يتهادى فلو رأتْهُ الدراري ينجلي قالت لأنتَ الوصيُّ
يا فتى المكرماتِ لا زلتَ نجمي يافعَ الحمدِ والزمانُ صبيُّ

ولهُ فيهِ بيتان قد ضمَّن كلًّا منهما اربعة تواريخ

أميرٌ أعام الفضل في ما بذاتهِ من الفضل حرٌّ اسمهُ الفضلُ في الملا
لهُ دُرُّ نظمي قد اتاهُ قريحتي أغرٌّ حكى نظم القلائد بالطلا (١

(للمقال صلة)

---

١) الاعناق (في الاصل) .

كتاب
الدرّ المرصوف في تاريخ الشوف (تابع)

تأليف القس حنانيا المنيّر من الرهبانية الشويرية

مهّد له وعلّق حواشيه ونشره
الاب اغناطيوس سركيس
من الرهبانية الشويرية

بسم الله الحي الازلي

الحمد لله الواحد القهار المنزه عن البداية والنهاية والاغيار المحتجب عن ذوي البصائر والابصار والمتعالي على اعلى العقول والافكار المانح الاحكام للحكام ذوي السلطة والاقتدار والكابح اخلاق القوم العتاة الفجار الذي جعلنا بواسطة التواريخ والاخبار نعرف ما حدث في جميع الممالك والاقطار حتى اذا سمعنا ما صدر من الرجال الاخيار من العدل والشهامة وحفظ الذمم والاسرار وما فرط من الاراذل الاشرار من المظالم وارتكاب الاوزار نقتفي من الصالحين تلك الآثار ونجتنب طرق المارِدين الموصلة الى سوء الدار .

اما بعد فيقول الفقير الى عفوه تعالى الراهب حنانيا المنيّر احد رهبان دير الشوير انه اذ كان النسيان مستحوذاً على كل انسان وكانت الحاجة تدعو في اكثر الاحيان الى معرفة ما حدث في سالف الزمان وقد ثبت ان ما لا يكون مسطورًا لا يثبت في الاذهان تصديت لانشاء هذا التاريخ القريب العهد باذلاً في احداثه كل الجد والجهد . وقد اقتصرت فيه على حوادث بلاد الشوف ونواحيها . واضفت اليها ما حدث في غيرها مما انتهى الى حدوثه فيها فاحصاً فحصاً حثيثاً عن حقائق الامور قبل تسليمها الى السطور . وقد شرعت في هذا العمل ولا ادرى متى يحل الاجل . فاريد ممن يقف على كتابي هذا ان يصلح ما فيه من الخلل . والذي يكمله بعدي فله الثواب الاكمل . واسأل الله تعالى حسن العناية في اتمام هذه الغاية لان زمن الموت مجهول ، كما انظم فأقول :

الموت سم قاتل فينا سرى   حكم من الباري على كل الورى
هل يعلم الانسان يوم وقوعه   ام كيف ام اين الوقيعة يا ترى
لو كنت ابصره منعت قدومه   لكنه لص خفي لا يُرى
طوبى لمن بالموت كان مذبذه   وكذاك مَن كلّ الورى التى ورا
بين الامانة والخيانة يا فتى   بون كما بين الثريا والثرى
ولكل ساعٍ عند ربك ما سعى   ولكل قلب ما نواه واضمرا
وانا الذي اصرفت عمري غافلًا   فررت منتبهاً كأني في الكرى
يا رب كن لي صافحاً عمَّا طغت   قدمي وكن لي غافرًا ما قد جرى
وادوم من اهل البصيرة من رأى   هذا الكتاب وكل من فيه قرا
كرماً يغض الطرف عن غلطاته   فالجود خلق لا يباع ويشترى
يا ناظرًا كل الزمان وعالمًا   بالكائنات ، وانت في اعلى الذرى
امنن بتوفيق لما ترضى به   يا خالقًا ما لا نراه وما نرى

تنبيه [1]

اعلم وفقك الله انني قد عثرت على بعض حوادث تقدم وقوعها في هذه البلاد . منها ما سمعته من شيوخ ثقاة قد حدثت في عهدهم : ومنها رأيته مسطورًا من اقوام مشهود لهم بصدق الرواية . فرأيت ان اذكر بعضها لتكون مقدمة لما بعدها . وهي منذ انقراض دولة بني معن واقامة بني شهاب . فاقول .

حكم الامير بشير الاول ١١٠٩ — ١١١٧ (١٦٩٧—١٧٠٥) [2]

انه قد كان اول من تولى حكم جبل الشوف وجلس على كرسي دير القمر هو الامير بشير الشهابي وكان ذلك سنة ١١٠٩ من الهجرة (١٦٩٧) . لانه في تلك السنة كان قد توفي الامير احمد معن ولم يكن له ولد ذكر فاجتمعت بعد وفاته مشايخ البلاد من السبع مقاطعات . وهي الشوف والعرقوب والجرد والشحار والغرب والمتن وكسروان . لانه كان حاكمًا في البلاد واجمع رأيهم على تسليم الحكم للامير بشير المومأ اليه . وارسلوا فاعرضوا رأيهم على وزير

---

١) العنوان هنا وحده من وضع المؤلف . اما العناوين الآتية بعده فجميعها من وضع الناشر .

٢) السنوات واردة في الاصل بالتاريخ الهجري . الا اننا وضعنا الى جانبها ما يقابلها من التاريخ المسيحي .

صيدا . فارتضى به تحت دفع دراهم كانت مكسورة عند الامير احمد معن المتوفى. وتسلم الامير بشير زمام الحكم وعدل في حكمه وخضع له اهل البلاد جميعهم الا اليمنية. لان البلاد كانت حزبين في تلك الايام: بني قيس وبني يمن[1] كما هي الآن يزبكية وجنبلاطية . ورفع اليمنيون دعواهم للباب العالي انهم لا يرضون الامير بشير حاكمًا عليهم . فقبلت الدولة سؤالهم وحضر امر من السلطان ان يكون الامير حيدر ابن الامير موسى الشهابي حاكمًا في البلاد ويكون الامير بشير مؤازرًا له في تدبيره لانه كان قاصرًا ابن اثنتي عشرة سنة . وكانت امه بنت الامير احمد معن. ولما وصل الامر السلطاني الى صيدا واطلع عليه الوزير. عرض للدولة بان الامير حيدر صغير السن لا يصلح للولاية. وان العمدة من اهل البلاد لا يقبلون بولايته . فرجع الجواب بتقرير الامير بشير على الحكم وتولى على كل ما كان في يد بني معن وكان ذلك سنة ١١١٠ (١٦٩٨) .

وفي هذه السنة تولى على ايالة طرابلس رسلان باشا . وتولى على ايالة صيدا اخوه قبلان باشا[2] . فحدث في هذا العهد ان حاكم بلاد بشارة عصا على قبلان باشا وعمد على مقاومته فاستنجد قبلان باشا بالامير بشير وطلب اسعافه . فاتاه بثمانية الاف رجل . وكبس ذلك العاصي وقبض عليه وسلمه الى قبلان باشا فازداد عنده قبولًا . وسلطه على ايالة صيدا ، من بلاد صفد الى جسر المعاملتين في كسروان وشاع ذكره وعظم شأنه حتى عند الدولة العلية .

وفي هذه السنة كان حكم بلاد جبيل في ايدي المشايخ بني حماده . وكانوا يلبسون خلعة الحكم من يد وزير طرابلس . فحدث منهم مطاولة على حقوق رسلان باشا فغضب عليهم ونزع الولاية منهم . فتوسط امرهم الامير بشير واسترضاه واعادهم الى الولاية .

حكم الامير حيدر ١١١٧ – ١١٤٣ (١٧٠٦ – ١٧٣٠)

وفي سنة ١١١٧ (١٧٠٥) توفي الامير بشير في بلاد صفد . ودفن في مدينة صيدا ، في مدفن بني معن . وكان قد اقام في الحكم سبع سنوات .

١) سيرى القارئ ان هذه العصبية التي استفحل امرها في القرن السابع عشر قد اضمحلت في لبنان في اوائل القرن التالي .

٢) سيجي في آخر الكتاب معجم باسماء الاعلام .

وكان عادلاً شجاعاً كريماً ذا هيبة ووقار ، اصهب طويل القامة حسن الصورة .
وقيل : كان سبب وفاته انه خرج في جباية الاموال السلطانية الى نواحي صفد .
وبينما هو في الطريق ، التقاه بعض الامراء بني عمه من حاصبيا وسألوه ان يضيفهم .
وكان بالقرب من مكانهم . فاجاب وانعطف معهم الى منزلهم . فاحتفلوا به
وقدموا اليه في اطعمتهم شيئاً من الحلوى بعضه ابيض وبعضه احمر . وكان
الاحمر مسموماً . فكانوا لا يأكلون منه . واكل منه الامير بشير . فدبّ
السمّ في اعضائه ، وكان ذلك السم لطيفاً فلم يظهر له اثر حتى انصرف الى
طريقه . فكان يعتل يوماً فيوماً حتى مات . وكان ذلك حسداً منهم وطمعاً
في اتخاذ الولاية بعده. ولما توفي الامير بشير ، اجتمعت مناصب البلاد واكابرها .
وتداولوا في من يقلدونه الولاية فاتفق رأيهم على الامير حيدر الذي مرّ ذكره .
وكان قد تزوج ورزق ولدين احدهما يقال له الامير ملحم والآخر الامير احمد .
فاحضروه من حاصبيا بالعز والاكرام . وسلموه امرهم واقام في دير القمر .
وقبلت الناس ولايته وطاعت اوامره . الا حكام بلاد المتاولة . فعصوا
ورفضوا اوامره وتصلبوا لمقاومته . وكان حينئذ حكم بلاد المتاولة في يد
المشايخ بني علي الصغير من يد بشير باشا والي صيدا . وحكم عكا وبلاد
صفد في يد المشايخ اولاد بني زيدان . وحكم بلاد الدروز والسبع مقاطعات
في يد الامير حيدر الشهابي . وكان الامير حيدر ، لما تحقق عصاوة المتاولة
عليه جمع رجاله وتوجه لقتالهم . واما هم فقد اجتمعوا الى قرية النباطية وعولوا
على قتاله فكبس القرية المذكورة والقى فيهم السيف . فقاتلوه . وكانت النصرة
له . ففتك بهم ودخل القرية عليهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ورجع الى بلاده
ظافراً . وكان ذلك سنة ١١٢٠ (١٠٧٨) .

وهذا كله كان بغير اذن بشير باشا ولا علمه . فانكر ذلك على الامير
حيدر وغضب عليه. وكان باقياً من اليمنية بعض رجال من الامراء بني علم الدين
في الجرد والغرب . فانفذ اليهم بشير باشا وطيب قلوبهم وانهضهم ضد الامير
حيدر وامرهم ان يطردوه من البلاد ويتسلموا الحكم مكانه . ووعدهم بان
يؤازرهم على ذلك . واشتهر هذا الامر . وتظاهر بنو علم الدين . وتكاثر
حزب اليمنية ونهض لاسعافهم الامير يوسف رسلان . وكان حاكم الغربين الاعلى

والادنى . وكان مقامه في قرية الشريفات . وانحاز الى غرض اليمنية كثير من القيسية . منهم الشيخ محمود من بني هرموش . وكان عمدة في البلاد . ونهضوا جميعهم للقتال . وضعف غرض الامير حيدر ، فخشي ، وانكسرت نفسه ، وارسل عياله الى حيث يأتمن عليهم في كسروان . واقاموا هناك تحت الخفا . في قرية صغيرة . وكابدوا الذل الشديد . واما الامير حيدر فانطلق الى الهرمل مقاطعة الامراء بني الحرفوش واختفى هناك في بعض الكهوف حيث تأوي الوحوش وكان المشايخ بني الخازن يرسلون اليه الذخائر الى هناك سراً . وتسلم زمام الحكم الامير يوسف علم الدين واخوه الامير منصور ، من يد بشير باشا والي صيدا . وكان المدبر في دولتها الشيخ محمود هرموش . فجاروا على الرعايا لا سيما بني قيس . واقاموا على ذلك سنتين الا قليلاً . فقامت الحركة في البلاد واتفقت القيسية على اعادة الامير حيدر الى الولاية . وراسلوه عن يد المشايخ بني الخازن . واستدعوه ان يوافيهم الى المتن . فاجابهم وحضر الى دار المقدم حسين ابي اللمع . وبلغت الاعلام كل بني قيس . فتبادروا اليه وكان عمدتهم الشيخ قبلان القاضي من جباع الشوف . والشيخ سيد احمد ابو عذرا من الباروك في العرقوب . وعلي ابو نكد من المناصف . ومحمد تلحوق من الغرب . والشيخ خازن من بني الخازن من كسروان . والمقدم مراد ابن المقدم محمد ابي اللمع من المتن . وتكاثرت القيسية عنده . واجتمعوا في رأس المتن . وبلغ ذلك امراء اليمنية . فانفذوا اخبروا بشير باشا والي صيدا فحضر حالاً بعسكره الى حرش صنوبر بيروت. وانفذوا فاستنجدوا بنصوح باشا والي الشام . ووعدوه بايراد دراهم نفقة عسكر . فقبل سؤالهم واقبل مسرعاً بعسكره الى قب الياس في البقاع . وتجمعت رجال اليمنية من الشوف والغرب والجرد وحضروا جميعهم الى قرية عين دارة بالقرب من طرق المتن الاعلى . وصار الاتفاق ان يرتفع بشير باشا من حرش بيروت الى قرية بيت مري في طرف المتن الادنى ونصوح باشا الى المغيثة في اعالي المتن ورجال اليمنية الى حمانا في باطن المتن . وان الثلاثة عساكر تمشي في وقت واحد معهود بينهم بحيث تصل معاً وتكبس القيسية والامير حيدر في رأس المتن . وبلغ الامير حيدر هذا الاتفاق . جمع بني قيس الذين عنده . وتداولوا فيما يكون . فاتفقوا ان يكبسوا اليمنية

ليلًا في عين دارة . وكان كذلك .

وفي تلك الليلة ركب الامير حيدر ببني قيس وتوجهوا الى عين داره . وكانت ليلة الجمعة من ثامن عشر محرم ١١٢٣ (١٧١١). فانقسموا ثلاث فرق وهجموا على القرية حتى وصلوا اليها . فصاحوا واطلقوا البارود . فثارت اليمنية وانتشبت الحرب . وحملت بعض الرجال القيسية فملكت جانباً من القرية واهوت عليها البقية فدخلوا. واتصلت القيسية باليمنية. فتركوا البارود وامتشقوا السيوف والانجاق . واراد الله ان يظفر القيسية فاستظهروا عليهم . وقتل في تلك الليلة خمسة امراء من بني علم الدين وخلق كثير من اليمنية. وهرب الذين سلموا فلم يوجد منهم احد . قيل : وكان قاتل هؤلاء الخمسة الامراء المقدم حسين ابي اللمع .

وبعد انصراف الوقيعة دخل عليه رجل فلقبه بالمقدم على عادته . فغضب وقال : اقتل خمسة امراء ويقال لي مقدم ؟ ! وقام اليه بالسيف فقتله . يريد ان يلقب بالامير . لان المقدم طبقة بين الامير والشيخ .

وقبض الامير حيدر على الشيخ محمود هرموش . واراد ان يقتله . فمنعه المشايخ عن ذلك خوفاً من سلوك هذه العادة في قتل المشايخ لانهم لم تكن لهم عادة في القتل ولا في الحبس ايضاً . فاذا اذنب احدهم كان قصاصه الطرد او سلب المال او اتلاف ماله من اغراض وابنية ونحو ذلك . ولما لم توافقه المشايخ على قتله قطع لسانه وابهام يديه واطلقه . وكان اذ بلغ الوزيرين ما كان انصرف كل منهما بعسكره خوفاً من وصول الطائلة اليه . وتوجه الامير حيدر الى دير القمر وفي ركابه موكب القيسية . ومن ذلك العهد تأيدت القيسية في البلاد وتبددت اليمنية منها . فضبط الامير حيدر املاكهم وديارهم واموالهم . وانعم على من كان في نصرته من اكابر البلاد . واعطى المقدم حسين ابا اللمع قاطع بيت شباب وبكفيا. وتزوج بابنته سعود. واعطى المقدم مراد ابا اللمع نصف حكم المتن وبسكنتا. وتزوج بامه لان اباه كان قد توفي. واطلق على بني ابي اللمع لقب الامارة . واعطى الشيخ قبلان القاضي اقليم جزين . واعطى الشيخ علي ابا نكد الناعمة وما يليها . واعطى محمد تلحوق الغرب الاعلى واطلق عليه لقب شيخ . وقام ضد الامير يوسف رسلان . لان

الامير يوسف كان حاكم الغربين . فلما تظاهر بالغرض لليمنية نزع منه الغرب الاعلى وسلمه لمحمد تلحوق . وجعل يكتب لهؤلاء المذكورين : الاخ العزيز .

وحكم . وعدل في حكمه ومالت اليه الناس . وعظم شأنه عند الجميع . وبعد مدة طويلة نهض ضده بعض مشايخ البلاد . وارادوا ان يخلعوه وينصبوا مكانه الامير احمد ابن الامير منصور الشهابي من راشيا . فاستنجدوا لاتمام مطلوبهم بالامير سيد احمد حاكم حاصبيا . ولما علم الامير حيدر بذلك استدعى اليه الامير احمد . ونوه له انه يريد ان يعطيه ابنته ويستوزره في اموره. فركب الامير احمد وحضر الى دير القمر . فالتقاه الامير حيدر احسن ملتقى وكان له سريرة عند الامير نجم الشهابي في حاصبيا. فكتب له انه يريد ان يقتل الامير احمد وانه متى بلغه العلم بقتله ينهض على الامير سيد احمد فيقتله ويتولى مكانه بمعاضدته . ثم ان الامير حيدر امر اولاده بقتل الامير احمد . فنهضوا عليه ليلًا وهو نائم فقتلوه . وارسل حالًا يخبر الامير نجم بذلك ليقتل الامير سيد احمد فسبق الرسول عبد كان مع الامير احمد وكان لما قتل مولاه انهزم ومضى الى حاصبيا فاخبر الامير سيد احمد . ولما علم الامير سيد احمد بذلك . خاف على نفسه . وانهزم ايضًا الى نواحي دمشق .

واقام الامير حيدر في الحكم ستة وعشرين عامًا الى ان توفي . وكان عادلًا شجاعًا كريمًا سديد الرأي اسمر اللون حسن الصورة . وكان قد تزوج بسبع نساء . منهن اثنتان من بنات عمه من حاصبيا . واثنتان من بني ابي اللمع من المتن كما ذكرنا . وثلاث سراري . ورزق تسعة اولاد ذكور وهم الامير ملحم والامير احمد من ام واحدة . والامير منصور . والامير يونس . والامير علي والامير حسن من ام اخرى وكلتاهما من بنات عمه كما مرّ . والامير عمر من والدة المقدم مراد ابي اللمع . والامير بشير من ابنة المقدم حسين. وكانت وفاة الامير حيدر سنة ١١٤٣ (١٧٣٠) واقاموا له مناحة عظيمة اربعين يومًا . ولبست النساء اثواب الحداد في جميع البلاد . وحدث في ايام ولايته حوادث كثيرة عدلنا عن ذكرها طلبًا للاختصار .

حكم الامير ملحم ١١٤٣ – ١١٦٧ (١٧٣٠ – ١٧٥٣)

وبعد وفاة الامير حيدر تولى مكانه ولده الامير ملحم . وكان عادلًا في حكمه لكنه كان صارماً جدًا فلا تأخذه رأفة في القصاص . ولا يقبل شفاعة شافع . فهابته الناس ولزم كل انسان حده . والقى الفتنة بين مشايخ البلاد وحكامها . فكان ذلك سبباً لتأييده وثبات حكمه . وكان الوالي يومئذٍ في صيدا اسعد باشا العظم . وكان مبغضاً للامير ملحم ويرغب ان ينزع الحكم من يده . ولكن لم يتيسر له ذلك فاقام اربع سنين في صيدا . ثم حضرت له ولاية دمشق الشام . وتولى مكانه اخوه سعد الدين باشا . وكان يكره اخاه اسعد ويحب الامير ملحم حباً شديدًا . وبعد ذلك بايام اراد اسعد باشا ان يزعج خاطر الامير ملحم فادعى عليه دعاوى باطلة وجهز عسكرًا وحضر به الى نواحي البقاع لمحاورة الامير ملحم . ولما بلغ الامير ذلك جمع عسكرًا من البلاد وركب يطلب اسعد باشا حتى وقع عليه بتلك الرجال التي معه . فلم يجد له طاقة على قتال الامير ملحم فانهزم . وساق الامير في اثره الى قرب دمشق . ثم انعطف في رجوعه الى البقاع فاحرق ونهب اكثر قراها . وشاع خبر جبرؤته . وهابته الدولة وعظم شأنه عند الشعوب المجاورين له وكان ذلك سنة ١١٥٤ (١٧٤١) وهي السنة الثانية عشرة من حكمه .

وفي سنة ١١٥٦ (١٧٤٣) عصت المتاولة على سعد الدين باشا . وابوا ان يدفعوا له المال السلطاني ، واستهانوا به . فارسل يخبر الامير ملحم بذلك . وطلب منه الاسعاف . فجمع عسكرًا عظيماً من رجال البلاد وتوجه لقتال المتاولة . وكانوا لما بلغهم قيام الامير ملحم خافوا وارادوا ان يتلافوا امرهم . فنزلت مشايخهم الى صيدا وترامو على الوزير واعتذروا اليه واقروا له بايراد الاموال المرتبة عليهم فرضي عنهم وعرف الامير ملحم بذلك وامره بالرجوع عنهم . وكان الامير قد وصل الى الاولي قرب صيدا . فلم يحفل بقول الوزير . واخذ في طريقه اليهم لانهم اتفقوا مع الوزير عن غير يده ولا علمه . وما زال حتى وصل الى قرية نصار . ولما تحققت المتاولة وصول الامير ملحم الى بلادهم واصراره على قتالهم لم يكن لهم بد من التأهب . فاستعدوا للقتال وجمعوا

رجالهم . ثم انتشب القتال بينهم . فكانت موقعة عظيمة الى حين من الزمان . فانكسرت المتاولة وفر من وجد سبيلًا للفرار . وكان كثير منهم قد تحصنوا في القرية فدخل عليهم الامير ملحم برجاله واعمل السيف فيهم حتى اتى على آخرهم فقتل منهم في ذلك اليوم الف وستمئة وستة انفار . واستلم الامير ملحم وقومه اموالهم وخيلهم وسلاحهم واحرق بلادهم واستأسر منهم اربعة مشايخ من اكابرهم وعاد منهم ظافرًا غانمًا . فجعل طريقه على صيدا وطلب من الوزير نفقة عسكر . فارسل اليه وبعث الامير ملحم الى الوزير بالاسرى الذين معهم وحضر الى دير القمر . ووقعت له هيبة في قلب الوزير واهل البلاد .

وفي سنة ١١٥٨ (١٧٤٥) وهي السنة الخامسة عشرة من حكمه ، اتجد له ولد سماه الامير يوسف .

وفي سنة ١١٦٣ (١٧٤٩) وهي سنة العشرين من ولايته . غضب على الشدياق بطرس المشقوتي وكان مدبرًا في دولته . وذلك لان الشدياق بطرس كان قد داخله العجب والطمع فتطاول على بعض ارزاق تخص الامير ملحم بغير اذنه . فامر بحبسه وضبط جميع املاكه . فعظم عليه جدًا وهانت عنده الحياة . فقطع خصيتيه بيده ومات . فاغتاظ الامير ملحم لموته وتأسف عليه وندم على ما فعل لانه كان نافعاً له في حسن تدبيره .

وفي هذه السنة كان سليمان باشا العظم واليًا في دمشق الشام . فغضب على الانكشارية ونفاهم من البلاد . فحضر ضابط زمامهم احمد آغا القلطقجي وبعض آغوات من اتباعه الى حماية بني يزبك . وكان يمضون في اثناء ذلك الى اطراف دمشق فينهبون ويقطعون الطرق . فكتب سليمان باشا الى الامير ملحم ان يطردهم من بلاده . ولما عزم الامير ملحم على طردهم منعه الشيخ شاهين تلحوق والمشايخ بني عبد الملك . فارسل الامير واحرق ديار بني تلحوق في الغرب وبني عبد الملك في الجرد . وقام الشيخ شاهين واحمد آغا الى نواحي البقاع . حتى دخلت جماعة واسطة في الصلح فسالموا بين سليمان باشا والانكشارية ورجع احمد آغا وجماعته الى دمشق . ورجع الشيخ شاهين الى البلاد . وعوض عليه الامير ملحم مما كان اتلفه : وصفا خاطره عليه .

وفي سنة ١١٦٦ (١٧٥٢) اتفق ان رجلًا من دير القمر تخاصم مع رجـل

من خدم المشايخ النكدية فقتل خادم المشايخ . فقبض الامير ملحم على القاتل وحبسه لانه لم يكن قتل متعمدًا . وكان الامير ملحم يريد ان يطلقه بعد تأديبه . فهجم بعض المشايخ المذكورين على السجن ليقتلوا المسجون بغير ارادة الامير . فمنعهم . وصار هياج بالشعب عظيم في دير القمر حتى اضطر الامير ان يأمر بقتله رغماً عنه فقتل . واثّر ذلك في قلب الامير ملحم وعول على نكبتهم . فالقى الفتنة بين الشيخ خطار والشيخ كليب نكد وجدت العداوة بينهما حتى نهض بعضها على بعض . فاقصاهما الامير من البلاد الى حاصبيا واحرق منازلهما في الدير وهدمها الى الارض . ثم توسط امرهم الامير اسماعيل حاكم حاصبيا واصلح بينهم . فرجعا الى البلاد واقاما في المناصف الى ان توفي الشيخ خطار وصفا خاطر الامير ملحم على الشيخ كليب فرجع الى الدير وعمر وسكن .

وفي هذه السنة . بعد رجوع الامير ملحم وانتصاره على المتاولة كان في عكا الشيخ ظاهر العمر من بني ابي زيدان اصحاب بلاد صفد المتقدم ذكرهم . كان الامير بشير قد ولاه تلك البلاد وكانت في ايدي آبائه من عهد بني معن حتى اراد الله فتولى الشيخ ظاهر مدينة عكا واقطاعها نائباً تحت يد وزير صيدا . فلما رأى الشيخ ظاهر ظفر الامير ملحم بالمتاولة وسطوته عليهم غير مبال بامر الوزير خاف ان يسطو على بلاده ايضاً . وكان لعكا سور قديم قد تهدم كثير منه فاصلحه الشيخ ظاهر . وجدد ما كان قد دثر منه وتأهب في كلما يحتاجه من التحصين والمهمات . وقال بعض شعراء العصر مؤرخاً تجديد ذلك السور :

سور منيع عاصم عكا . لما ... نقتال . اذ قد عاد منه الداثر
من ظاهر العمر الذي اشتهرت له ... بين البرية انعم ومآثر
تمت محاسنه فبرنو ناظر ... في حسن بناه ويغنا ناظر
لما بناه الشيخ ظاهر عنوة ... اعتاه تاريخي بناه الظاهر

وفي سنة ١١٦٧ (١٧٥٣) دخلت شوكة من لوح صبير في يد الامير ملحم فآلمته جداً . ولكنه لم يكترث بها . فاستحم واستعمل الطيب فورمت يده وعظم الامر حتى عجزت الجراحون والاطباء عنه ونحل جسمه جراء ذلك

واشتغل بمداواة نفسه . فطمعت فيه مشايخ البلاد . واتفقوا عليه بواسطة اخوته . فاضطر ان يتنازل عن الحكم .

وفي هذه السنة حضر الشيخ عثمان ابن الشيخ ظاهر العمر الى دير القمر نازلًا عند الامير ملحم لانه كان قد اغتاظ من ابيه فحضر غضبانًا فتوسط الامير ملحم امره مع ابيه ورجع الى عكا واصطلح مع ابيه .

وفي هذه السنة قتل الامير اسماعيل ابو اللمع ابن عمه الامير اسعد. فركب الامير منصور وقاصرهم وضبط ارزاقهم . ثم رضي عنهم واخذ منهم عشرين الف قرش .

حكم الاميرين احمد ومنصور ١١٦٩–١١٧٧ (١٧٥٥–١٧٦٣)

وفي سنة ١١٦٩ (١٧٥٥) تسلم حكم جبل الشوف الامير احمد اخو الامير ملحم واخوه الامير منصور . واقاما في دير القمر . ونزل الامير ملحم الى بيروت وصرف اتباعه وابقى عنده اربعة انفار من المسلمين لخدمته .واتخذ كتباً في العبادات الاسلامية ومشايخ يراجعهم في امر الدين وتورع في الديانة الاسلامية.

وفي هذه السنة كان نائباً عن دمشق الشام عبد الله باشا الشبتجي . وكان عداوة في دمشق بين وجاق الانكجارية والقبيقول . فارسلته الدولة بعسكر ثلاثة عشر الف نفر لاجل قطع هذه الخصومة . فاجتمعت عند قدومه اهل المدينة الى الميدان ليمنعوه عن الدخول . فكبسهم ليلًا وقتل منهم خلقاً كثيراً. ودخل الى البلد رغماً. فهابته النفوس وسكنت تلك البلابل التي كانت بينهم وقيل انه كان يتنكر كل ليلة ويطوف في شوارع المدينة وكل من وجده في الليل يقتله . فعظم امره عند الدولة . وكان في اصله مملوكاً كرجياً . ولذلك كان يحب النصارى كثيراً . وكان يحب الامير ملحم محبة عظيمة . وكان يقول ليس في الدنيا مارد الا عبدالله باشا الشبتجي والامير ملحم الشهابي والشيخ ظاهر العمر . ثم انعزل عبدالله باشا عن دمشق الشام . وتولى مكانه حسن باشا .

وفي هذه السنة انقضت صاعقة على قلعة بيروت فهدمت جانباً منها . فامر الامير ملحم ببناء ما هدم منها

حكم الامير منصور ١١٧٧–١١٨٤ (١٧٦٣–١٧٧٠)

وفي سنة ١١٧٠ (١٧٥٦) وقع الاختلاف بين الامير احمد والامير منصور وابن اخيهما الامير قاسم ابن الامير عمر فنزح الامير قاسم من البلاد الى نواحي البقاع . وقطع الطرق السالكة الى البلاد. فارسل الامير احمد والامير منصور واسترضياه واعطياه قرية غزير . وتزوج بابنة الامير منصور وسكن في غزير .

وفي هذه السنة كان غلاء عظيم في بلاد الشمال حتى كان رطل الخبز يباع بنصف قرش . ودام الغلاء سنة كاملة . وقيل انهم في بلاد الرها ونواحي بغداد كانوا يأكلون لحوم الخيل والبغال والحمير .

وفي هذه السنة ، نهبت العرب الحج عند قلعة القطرانة . فدخل الباشا القلعة وحاصر بها . فحاصروه اياماً . واخذوا المحمل . وقيل ان ام السلطان عثمان كانت في الحج فماتت رعباً. ولم يسلم من الحج غير القليل . وكان للباشا صديق من امراء العرب . فاخرجه من القلعة ليلاً وهرب الى غزه.. وقيل ان العرب كانوا يطبخون اللؤلؤ ويظنون انه ارز .

وفي سنة ١١٧١ (١٧٥٧) ، ثارت الحرب بين انكشارية دمشق والقبيقول وصار بينهم وقائع كثيرة . وكانت الناس من اهالي جبل الشوف في تلك الاطراف . فكانوا يسعفون الانكشارية وينصرونهم على القبيقول . وقتل من الفريقين نحو اربعين نفراً وحاصرت القبيقول في القلعة . وجرى بينهم وبين الانكشارية اربع وقائع . والانكشارية تنتصر عليهم باسعاف الدروز . وبعد رجوع عبدالله باشا الشتجي الى دمشق امر عسكره ان يكون مسعفاً للقبيقول. وطلب من الانكشارية عشرة آلاف قرش وكان رئيس الانكشارية محمد آغا ابن والي فامتنع عن ذلك ورد رسول الباشا . فغضب وامر العسكر ان يكبس منازل الانكشارية فوقع بينهم القتال وانكسر عسكر الوزير وقتل منه عشرون نفراً . وخرجت الانكشارية من البلد نحو الف خيال . ووقع القتال بين اهل المدينة والوزير . فقتل من اهل المدينة نحو مئة قتيل . ثم نادى عبدالله باشا بالامان . وكف عسكره عن القتال .

وكان في هذه السنة غلاء فاحش حتى بلغ ثمن كيل الحنطة ستة قروش .

ثم نادى الباشا في دمشق على خزنة الحنطة ان يبيعوا الكيل بقرشين ونصف. فكان كذلك .

وفي سنة ١١٧٢ (١٧٥٨) توفي السلطان عثمان ابن السلطان مصطفى . وقيل انه مات بالسم . وكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثمانية اشهر . وخلفه السلطان مصطفى ابن السلطان احمد .

وفي هذه السنة ظهرت في البحر مراكب قرصان . واستوسقوا على سفينة لاهل بيروت فهاجت الاسلام في بيروت . وقاموا على الافرنج الذين في البلد وهجموا على دير البادرية . وقبضوا على الرهبان. واتلفوا ما في الكنيسة مما يتلف ونهبوا ما ينهب . فغضب الامير ملحم من ذلك . وقبض على الذين اثاروا تلك الحركة من اسلام بيروت . وشنق منهم اثنين . واستخلص للبادرية ما كانوا نهبوه من الدير .

وفي هذه السنة كان الامير احمد والامير منصور بعد توليها حكم البلاد قد قل احتفالها باخيها الامير ملحم ولم يعد له عندهما مقدار . فشق عليه ذلك. ولم يجد له سبيلاً الى منازعتهما الولاية . وكان في ايام ولايته قد تولى ايالة صيدا مصطفى باشا القواص . فدعاه الامير ملحم الى دير القمر فحضر . واخذه الى نبع الباروك . وقدم له الخيل والسلاح . وبالغ في اكرامه وصار بينهما محبة عظيمة . ثم انعزل مصطفى باشا ورجع الى القسطنطينية . وسار له منزلة في الباب العالي . وقد ذكرنا ما كان بين الامير احمد والامير منصور . وبين الامير قاسم ابن الامير عمر . وكانت لم تزل بينهم جفوة مما مر . ولما رأى الامير ملحم استخفافهما به دعا اليه الامير قاسم وكتب معه الى مصطفى باشا القواص ان يسعى له في اخراج الولاية باسمه من الباب العالي . وارسله الى هناك . فرحب به مصطفى باشا واكرمه وانزله احسن منزل وسعى في حاجته فلم يرد وحصل الوعد بقضائها . واتفق في تلك الايام انه قبل اتمامها . توفي السلطان عثمان وقام مقامه السلطان مصطفى . وكان يكره مصطفى باشا القواص . فنفاه من القسطنطينية .

حكى الامير قاسم قال . كنت ذات ليلة عند مصطفى باشا القواص في القسطنطينية . واذ قد دخل عليه رجلان بايديهما مصابيح ودفعا اليه صحيفة

صغيرة . فقرأها ونهض من فوره وسار معها وقال لنا امكثوا هنا الى ان اعود . فبقيت انا ونائبه ساهرين نتحدث في ذلك ولا نعلم السبب . وما برحنا الى ان رجع مصطفى باشا بعد نصف الليل ومعه الرجلان مصابيحها . فنهضنا عند دخوله حتى جلس وامرنا بالجلوس فجلسنا ولم نجسر ان نسأله عن شيء . فقال هل علمتم لماذا دعينا ؟ قلنا لا . قال قد انتقل الى عفو الله تعالى مولانا السلطان عثمان . فذهبنا صلينا عليه ودفناه واقمنا مكانه السلطان مصطفى الثالث الاسم ابن المرحوم السلطان احمد الثاني وباركنا له بالملك ورجعنا. وغداً تصير الزينة في المدينة ويخرج السلطان الجديد الى الجامع . ثم قال لنائبه : استأجر لك مكاناً يكشف على الطريق لتفرج الامير قاسم على خروج السلطان . فارسل واستأجر داراً ذات مشارف على الطريق . وعند الصباح ذهبنا وجلسنا هناك . ثم اخذت الارط تتوارد كل ارطة بزيها وملبوسها وهو ينبئني باسمائها الى ان وردت الاثنتان والسبعون ارطة ثم اقبلت رجال الدولة بالجواهر والحجارة الكريمة ونورها يدهش البصر . واقبل السلطان مصطفى بكرك اخضر وقاووق اخضر . وقد غطته مراوح مزخرفة من ريش النعام . وهو شاب اشقر اللحية متقلد بسيف مذهب مرصع بالجواهر النفيسة . وفي يده مصحف كذلك . ومر في طريقه الى الجامع . فصلى ورجع من هناك الى داره في البحر . ورجعت المراكب على ترتيبها .

وفي سنة ١١٧٣(١٧٥٩) . توفي الامير ملحم في مدينة بيروت . وحزنت عليه عائلته حزناً عظيماً لانه كان بمنزلة اب لهم . وقد اعطاهم كثيراً من الاملاك . وهو الذي ربى جميع اخوته . لانه لما توفي ابوه الامير حيدر لم يكن بالغاً في اولاده غير الامير ملحم والامير احمد . وكان محباً للجميع بالمساواة . ولما توفي الامير ملحم كان جميع اولاده صغاراً . وكان وكيلاً عليهم ومربياً لهم سعد الخوري صالح من رشميا .

وفي هذه السنة رجع الامير قاسم الشهابي من القسطنطينية الى دمشق الشام. وكان بعد نفي مصطفى باشا القواص من هناك قد انقطعت وسائله ولم يبق له مسعف على حاجته . فانقطع رجاؤه منها الا ان مصطفى باشا كان له شراق في القسطنطينية يقال له علي باشا الحكيم . فاوصاه به عند خروجه من هناك

ان يكون مسعفا له . وكانت الاحوال مضطربة بعد قيام السلطان الجديد . فامره علي باشا ان يعود الى دمشق ويكتب معه الى عبد الله باشا . فاضطر الامير قاسم الى الرجوع . واصحبه علي باشا بكتاب الى عبدالله باشا. ولما دخل الامير قاسم على عبدالله باشا دفع اليه الكتاب ، فقبله بكل اكرام وكان قد حان خروجه الى الحاج فعرض على الامير قاسم ان يعطيه المقاطعة التي يريدها في إيالة دمشق . فلم يقبل . وبقي في دمشق حتى رجع عبدالله باشا من الحج . فسار الامير قاسم الى ملتقاه وقدم له ثلاثة عشرحصاناً من جياد الخيل. وكان ملتقاهما في صحراء المزاريب . وهناك حضر الى الباشا اعلام بوفاة علي باشا الحكيم . ورجع الامير قاسم من هناك الى دمشق مع عبدالله باشا. واقام عنده اياماً . فاتته العزلة . وتولى مكانه شاليش باشا . فضاق صدر الامير قاسم وساءه عدم ذلك التوفيق . فخرج من دمشق واتى الى فالوغا في المتن ونزل عند الامير شديد ابن الامير مراد ابي اللمع . واقام عنده سنة ثم ارسل عمه الامير احمد والامير منصور فاسترضياه . وحضر الى حدث بيروت حيث كانت عياله .

وفي سنة ١١٧٤ (٧٦٠) . اتجد للامير احمد ولد وسماه الامير حيدر . وهو المؤرخ المشهور .

وفي هذه السنة تولى دمشق الشام عثمان باشا الكرجي الملقب بالصادق . وكان السبب في هذا اللقب انه كان من بعض مماليك اسعد باشا العظم والي دمشق . وكان اسعد باشا قد تولى دمشق سنين كثيرة وجمع اموالاً لا تحصى وبنى ابنية عظيمة في دمشق . منها الخان المعروف باسمه الى الآن . ومشى الحج بنفقته سنوات . فانعمت عليه الدولة بطوق إشاداً لانعطافها اليه. وامرت ان لا يقتل ولا يشهر عليه سلاح. ولما علمت بكثرة امواله التي جمعها ، ارسلت فقتلته خفية في الحمام وضبطت امواله فكانت مبلغاً عظيماً لا يقع تحت حساب. وكان اسعد باشا يُحب مملوكه عثمان المذكور لاجل نباهته واستقامته في الخدمة. فكان يقربه اليه ويثق به في اسراره ولما قتل مولاه ووقع الضبط على داره طلبوا عثمان المملوك وسألوه عن خزائن سيده . فقرر لهم عنها كما هي . وبعد ذلك وجدت حافظة بعلم تلك الاموال . فكانت كما ذكر المملوك . وبلغ

ذلك الدولة العلية فانعمت عليه بثلاثة اطواق . وقيل له عثمان باشا الصادق . وكان من الاستقامة في القول والعمل على جانب عظيم .

وفي هذه السنة اصطلح الامير قاسم مع عميه الامير احمد والامير منصور اصطلاحاً تاماً وسكن في قرية بشامون من قرى الغرب الاعلى .

وفي سنة ١١٧٥ (١٧٦١) ولد للسلطان مصطفى غلام سماه السلطان سليم . وارسل البشائر الى جميع المدن في مملكته . وقامت الافراح والزينات في كل مكان . ونظم هذا التاريخ :

لما بدا بدر العلى في ذروة المجد العظيم
والسعد قد عمّ الملا ارخت محفوظاً سليم

وفي هذه السنة حدث اختلاف بين طائفة الروم والكاثوليكين في مدينة حلب واخرجت الروم اوامر من الدولة العلية في القبض على البعض من وجوه الكاثوليكين. فقبض عليهم الوزير وحبسهم . فاعرضت طائفة الكاثوليكين الى الباب العالي وخرجت فتوى من المحكمة الهمايونية بعدم التعرض لهم وهذه صورتها :

وما قولكم ادام الله فضلكم في رجل ذمي تولى بطريركاً او مطراناً على النصارى الذميين الاروام وغيرهم من الغرباء القاطنين في مدينة حلب او دمشق الشام او غيرهما من مدن المملكة العثمانية بموجب خط شريف من حضرة مولانا السلطان لتعاطي امورهم الكلية والجزئية في دينهم من عقد نكاح وصلوات وغير ذلك من الاحكام . ثم ان فرقة منهم تعدت عليه وخالفته ضد امر مولانا السلطان . واختلطت بالافرنج الحربيين وتدينت بديانتهم وصلت في كنائسهم تريد في ذلك مخالفة امر مولانا السلطان والاستعلاء على المسلمين فهل تجبر على طاعة الامر العالي بامتثالها للبطريرك او المطران المذكورين . وان خالفت امر مولانا السلطان واستعلت على المسلمين فهل تكون حربية وينتقض عهدها وتجري عليها احكام الحربيين وتكون دماؤها هدراً واولادها غنيمة للمسلمين ام لا ؟ افيدوا بالجواب . ولكم الاجر والثواب .

الجواب : الحمد لله مانح الصواب . انت خبير بما هو مصرح به في كتب ائمة مذهب امامنا النعمان وشرحه وفتاويه ان الكفر ملة واحدة . فان تدين النصراني بما تدين به اليهودي او تدين اليهودي بما تدين به النصراني او بما تدينت

به الافرنج فلا يكون ذلك ناقضاً لعدهم لتصريح صاحب الكنز وغيره من معتمدي ايتنا بان الذي لا ينقض عهده الا بالتحاقه بدار الحرب او بالغلبة على موضع الحرب . فان علمت ما قررناه ظهر لك ان الفرقة من النصارى الذميين اذا اجتمعوا بالافرنج وتدينوا بدينهم وصلوا في كنائسهم لا يكون ذلك تعدياً منهم ولا استعلاء على المسلمين ولا نقول انهم قد انتقلوا من دين الى دين . لما قررناه من ان جميع الاديان المخالفة لدين الاسلام في الكفر على حد سواء . ولاجل ذلك لا ينقض عهدهم ولا تجري عليهم احكام الحربيين لان الافرنج الحربيين اذا دخلوا دار الاسلام بامان يكونوا مستأمنين . وان مكثوا سنة ولم يعودوا الى دارهم يكونوا ذميين . وتجري عليهم احكام اهل الذمة . ولا يجوز سفك دمائهم ولا اخذ شيء من اموالهم ما داموا في دارنا كما هو مصرح به . ولا يكون عدم ادائهم الجزية مبيحاً لشيء من ذلك . ولا عدم اخذ الجزية من الافرنج القاطنين في دارنا تقصير منا . بل ان ابوا عن دفعها ايضاً كما يقول صاحب الكنز فلا ينقض عهدهم بابائهم عن الجزية ولا نقول انهم حربيون . واذا كان لا يجوز لنا سفك دماء الافرنج المذكورين في دارنا ولا اخذ شيء من اموالهم بغير حق فالاولى ان لا يجوز لنا ذلك بالنسبة الى الذميين الخاضعين لاحكامنا . ولا يجوز لاحد ممن يؤمن بالله واليوم الاخر ان يتعرض للفرقة الذميين سواء كانوا حلبيين ام دمشقيين ام غيرهم او يأمرهم بالطاعة للبطريرك او المطران المذكورين بالكفر . وقد تقرر في قواعد اهل السنة ان الرضى بالكفر كفر هو . نعوذ بالله من ذلك . وتوليتها عليهم بخط شريف من حضرة مولانا السلطان لا ينافي تدينهم بدين غيرهما . فان وجد بالخط الشريف ما يشعر بامتثالهم الى البطريرك او المطران فانه يكون قد وقع سهواً مرتباً على انتباه البطرك او المطران لاستحالة وقوع ذلك قصداً من مولانا السلطان ايده الله تعالى . فيثاب حضرة مولانا الوزير وحكام الاسلام عن منع الذمي البطرك او المطران من تعرضهما للذميين الاغراب . وهذا الجواب المعتبر المعول عليه . ولا يعمل بغيره ولا يلتفت اليه . والله سبحانه اعلم . حرره الفقير اليه تعالى سليمان المنصوري الحنفي .

وفي سنة ١١٧٧ (١٧٦٣) اختلف الامير احمد والامير منصور في الحكم

فنزل الامير منصور الى بيروت واحضر محمد باشا العظم والي صيدا الى حرش بيروت وطلع به الى دير القمر . فقام الامير احمد من الدير الى كفرنبرخ . وخانت عليه مشايخ اليزبكية . وحضر الى دير القمر الشيخ عبد السلام عماد والشيخ شاهين تلحوق . وتوجه الامير يوسف ابن الامير ملحم واخوته وعيالهم الى المختارة . وضبط الامير منصور جميع املاكهم . ثم توجه الامير يوسف الى راشيا فالتقاه الامير منصور حاكم راشيا بكل اكرام ودخل في الصلح الشيخ علي جنبلاط والشيخ كليب نكد بينه وبين عمه الامير منصور. وحضر الامير يوسف الى بشامون قاطناً عند ابن عمه الامير قاسم ابن الامير عمر الذي تقدم الكلام عنه . وحضر كاخيته سعد الخوري الى بسكنتا . واقام عند الامير احمد ابن الامير حسين ابي اللمع حاكم بسكنتا . وابتدأ الشيخ علي جنبلاط يترامى على الامير منصور في رفع الضبط عن املاك عائلة الامير ملحم . وكان الامير منصور له طمع في ميل الدولة اليه . فرد سؤال الشيخ علي ولم يرفع الضبط . وكان في ذلك الوقت اتفاق حسن بين الشيخ علي والشيخ كليب نكد . وهما يحبان الامير يوسف محبة صادقة . وكان شيخ العقل في تلك الايام الشيخ اسماعيل ابو حمزة . فارسله الشيخ علي جنبلاط الى الغرب . الظاهر لكي يحافظ على الخلوات حسب العادة . والباطن لكي يربط مع اعالي البلاد على قيام مصلحة الامير يوسف . وبعد حضور الشيخ اسماعيل الى الغرب اتفق الشيخ علي والشيخ كليب مع الامير يوسف ان يتوجه الى دمشق وجميع البلاد في غرضه . فتوجه الامير يوسف الى قب الياس في البقاع . وحضر اليه سعد الخوري من بسكنتا . وتوجه به الى دمشق الشام . وكان عليها عثمان باشا الكرجي الصادق الذي تقدم الكلام عليه فالتقاه بكل اكرام ورجع الامير منصور الى بيروت ومحمد باشا الى صيدا . وقدم له الامير منصور خدمة عشرة الاف قرش . وتوجه الشيخ كليب الى حاصبيا خوفاً من الامير منصور. وكان محمد باشا الكرجي ابن عثمان باشا نائباً على طرابلس الشام . فكتب اليه عثمان باشا ان ينعم على الامير يوسف بحكم بلاد جبيل . لانها في ذلك العهد كانت تابعة ايالة دمشق . وخرج الامير يوسف بذلك الكتاب الى مدينة جبيل والتقاه الشيخ كليب نكد الى الطريق . وسار معه . ولما وصل الى

جبيل حضرت اليه اكثر مشايخ البلاد وتقدم من هناك الى طرابلس وكان عمره يومئذ اثنتي عشرة سنة . وانما سعد الخوري كان يدبر اموره . وكان الامير يوسف كريماً فاحبته الناس ومالت اليه اهالي البلاد .

وفي سنة ١١٧٨ (١٧٦٤) ركب عثمان باشا الصادق على الشيخ محمد الجرار في قلعة سانور . وارسل الى الامير يوسف فجمع الامير يوسف عسكراً والتقى به عثمان باشا فعظم امره عنده واكرمه غاية الاكرام . وكان الامير منصور حنقاً على الشيخ علي جنبلاط . فاتفق مع الامير قاسم والامير علي والشيخ عبد السلام العماد على قصاصه . ولما علم الشيخ علي بهذا الاتفاق ارسل فدفع الى الامير يونس اخي الامير منصور سبعة الاف وخمسة قرش حتى يقوم الى الشوف . فقبل الامير يونس . وقام من دير القمر الى مزرعة الشوف فحضرت اليه المشايخ الجنبلاطية برجال الشوف والبعض من رجال البلاد . واشتدت الحركة . وفي ذلك الوقت اتفق انه انعزل محمد باشا العظم من صيدا ومات السيد علي المرادي في دمشق . وهما عمدة الامير منصور وبهما كان يشتد عزمه . فضعف عزم الامير منصور وعدل عما كان في نفسه . وحضر الشيخ علي والامير يونس الى مواجهته في دير القمر وحصلت الالفة بينهم . ورجع منصور الى بيروت والامير يونس والشيخ علي الى منازلهما .

وفي هذه السنة كان امير الحج في مصر حسين بك كشكش . وكان بطلاً في الحرب . لا يطاق . وكان يخرج بالحج ويرجع بدون ان يعطي رَمِيَّة العربان . وكان في ذلك الموسم امير الحج الشامي عثمان باشا الصادق . فالتقيا هناك ووقعت بينهما منافرة . فتلافاها الشريف مساعد بن زيد سلطان مكة . وكان يميل الى عثمان باشا وبقي في نفسهما اثر من ذلك . وعاد كل منهما الى مكانه . وبعد رجوع الحج المصري كان فيه الامير علي بك وكان عنده خزندار يقال له محمد . فالبسه كاشفاً عن المنوفية . ثم البسه سنجقاً . وكانت عادة الغز انه حين يلبس احدهم على السنجقية يخرج من دار مولاه وينثر الفضة على الخدم . فخرج محمد ونثر الذهب فقيل له ابو الذهب . واما استاذه علي بك فانه بعد ذلك تمرد على السناجق فاتفقوا عليه واخرجوا امرًا من الوزير بنفيه واخرجوه من مصر منفيًا الى الاقطار الحجازية . فاقام مدة في السويس . ورجع

سرًا الى مصر ومعه مملوكه محمد ابو الذهب ودخل الى بيت حسين بك كشكش . وارسل محمد ابا الذهب الى بيت عثمان بك الجرجاوي . ولما علمت السناجق برجوعه عقدوا ديوانًا . فجزم الامير خليل بك شيخ البلد وبعض السناجق برجوعه الى الحجاز حسب امر الوزير . فابى حسين بك وعثمان بك لدخوله منازلهما . واخيرًا اتفقوا على خروجه الى بلاد الصعيد فانزلوه البحر وجهزوه بما يحتاجه وتوجه الى مدينة اسيوط ومعه مملوكه محمد ابو الذهب . وكان منفيًا هناك صالح بك تابع مصطفى بك . وبعد ذلك اخذ علي بك وصالح بك يكاتبان الوزير وبعض السناجق فمال اليهم حسين بك جوجو . وربط مع الوزير حمزة باشا وبعض ارباب الوجاقات على قتل الامير خليل بك شيخ البلد وعثمان بك الجرجاوي وحسين بك كشكش . وصار الاتفاق انهم متى حضروا لتهنئة الوزير بالعيد يثبون عليهم ويقتلونهم . وكان ذلك في اواخر شهر رمضان . ولما كان العيد حضروا كعادتهم مستأمنين . وجلسوا بحضرة الوزير دخل عليهم اربعة انفار واطلقوا عليهم الرصاص . فاصابوا عثمان بك الجرجاوي فقتل . وهربت بقية السناجق الى باب القرب وباب الانكشارية . وقامت لحمايتهم رجال الوجاقات وثاروا على الوزير والقوا عليه الترسيم وطلبوا حسين بك جوجو واصحابه فاختفوا في البلد ثم خرجوا الى الصعيد والتقوا بعلي بك وصالح بك . واخبروهما بقتل عثمان بك الجرجاوي . وكان الشيخ همام حاكم الصعيد يحب علي بك محبة عظيمة . فالتجأ اليه علي بك وسأله النجدة فجهز معه عسكرًا من العرب والهوارة . وانضمت اليهم الغز المنفية الى بلاد الصعيد من قديم الزمان . وساروا بتلك العساكر يطلبون مصر . ولما علم بذلك خليل بك والسناجق الذين في مصر جهزوا عساكرهم . وخرجوا الى ملتقاهم . فالتقت العساكر في مكان يقال له البياضية وانتشبت بينهم الحرب . فانكسرت عساكر خليل بك . ورجعوا طالبين بلاد غزة والاقطار الشامية . وتقدم علي بك وصالح بك الى قرية يقال لها البلد . فنزلا هناك . وخرجت اليهما اكابر الوجاقات . وعلماء البلد ونائب الوزير والاعيان وادخلوهما الى مصر باحتفال عظيم . ولما دخلوا المدينة قصدوا القلعة واخرجوا حمزة باشا من تحت الترسيم . فخلع على علي بك واقامه شيخ البلد وعلى صالح بك واقامه متوليًا .

وفي هذه السنة اصلح الامير اسماعيل ابن الامير نجم حاكم حاصبيا قلعة بانياس وبنى ما كان قد هدم منها من ايام بني معن ونزل بها قاطناً . فحضر اليه عثمان باشا الصادق والي دمشق وحاصره اياماً . وكان لما بلغه خروج عثمان باشا ارسل استنجد الامير منصور الشهابي . وقبل ان تصل اليه النجدة سلم القلعة عن يد يوسف آغا ابن جبري نائب عثمان باشا . ولما تسلم القلعة عثمان باشا قبض على الامير اسماعيل واخذ منه اثني عشر الف قرش ونهب كل ما كان في القلعة . ثم امر بهدمها واطلق الامير اسماعيل بعد ذلك . فاراد ان يتوجه الى القسطنطينية . وسار حتى وصل الى بلاد بعلبك . فارسل الامير منصور اخاه الامير علي وابن اخيه الامير قاسم الذي كان توجه الى القسطنطينية سابقاً ورجع فارغاً . فعدلاه عن ذلك . وحضروا جميعاً الى بيروت . واصلح الامير منصور بين الامير اسماعيل واخيه الاكبر سلمان . لانهما كانا قد اختلفا على حكم وادي التيم . ورحل الامير سلمان الى بيروت . وبعد اتفاقهما رجعا معاً الى حاصبيا . واقاما مدة هناك . فغدر الامير اسماعيل بالامير سلمان . وقتله . وكان له ولدان فهربا الى بيروت . وتمكن الامير اسماعيل من حكم وادي التيم . واتفق مع المشايخ المتاولة والشيخ ظاهر العمر . وخافت منه اهالي تلك البلاد . وكان قد زوج اخته بالامير منصور وصار بينهما محبة شديدة . وكانت اخته الاولى زوجة الامير ملحم واتخذ الامير اسماعيل كثيرا من الخدم والخيل والسلاح . وصار في ثروة واسعة . واصلح الامير منصور امر اولاد الامير سلمان . وجعل لهم معاشاً على عمهم . ورجعوا الى حاصبيا واقاموا هناك.

وفي سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) رجع الامير خليل بك وحسين بك كشكش ومن معهما من بلاد غزة هاشم ومعهما عساكر كثيرة عربان ومغاربة ودالاتية ووصلوا الى مدينة المنصورة . ولما بلغ الامير علي بك قدومهم جهز اليهم العساكر مع مملوكه محمد بك ابي الذهب. وخرجت معه الوجاقات السبعة فالتقوا في نواحي المنصورة واشتبك بينهم القتال اكثر من اربع ساعات . فانكسرت عساكر علي بك ورجعت الى مصر . فجرد علي بك ركبة ثانية وخرج معها صالح بك ومحمد بك ورجال الوجاقات السبعة . ولما علم الامير خليل بك والامير حسين بك بتجريد العساكر عزما على المسير الى اراضي الصعيد . فلم

يجيمها العسكر الذي معهما على ذلك . وانصرف كل منه الى بلاده . فسار خليل بك وحسين بك بعشيرتهما الى هناك . ونزلا في قرية يقال لها طلدة . واجمع رأيهما على ترك القتال ومراسلة السناجق الباقين في مصر ان يقبلوهما . وكان صالح بك لما بلغه دخولهما الى تلك الاراضي سار اليها ومعه محمد بك ابو الذهب . ولما اقترب من طلدة اجتمعت اليه اكابر الوجاقات . وقالوا له الاوفق لنا ان لا نتعاطى امر القوم ومعنا محمد بك ابو الذهب لاننا نعلم انه لا يخامر عليهم . واذا انتشب القتال بيننا وبينهم لا بد ان يتخلى ويتركنا في المقدمة . فان رأيت ان نفوض الامر اليه . فقبل صالح بك رأيهم . وساروا جميعاً الى خيمة محمد بك ابو الذهب . وقالوا له : انت ابن الامير علي بك وهؤلاء اخوتك . وانتم عائلة واحدة . ونحن قد فوضنا هذا الامر اليك . فافعل ما تراه صواباً . فدعا محمد بك كاشفاً يقال له ذو الفقار الفيومي . وامره ان يمضي الى طلدة ويظاهر انه قد عاب عن ابي الذهب وينضم الى خليل بك وحسن بك ويحتال على قتلها . فكفل له ذو الفقار ذلك . وسار برجاله الى هناك . وكان القوم لا يحتسبون منه . لانه كان من عشيرتهم . فاطمأنوا اليه . وعند وصوله هجم عليهم برجاله فأصاب عبده حسين بك برصاص فقتله. وكان الى جانبه مملوك له . فقتلوه ايضاً . وانذعر القوم من ذلك فتشتتوا . وكان في طلدة مقام للسيد احمد البدوي تبيه الاسلام . ففر خليل بك ودخل ذلك المقام . واحتمى فيه مع مماليك علي بك الملطي وعثمان بك. وتلاه حمزه بك والوالي . فادركتهما جماعة ذي الفقار وعبده قبل دخولهما الى المقام وقتلوهما هناك . وفرّ اسماعيل بك ابو مدفع الى الجهة الشرقية ودخل مدينة المنصورة . وكان ذو الفقار قد قطع رؤوس الذين قتلوهم . فارسل تلك الرؤوس الى محمد بك ابو الذهب واعلمه بدخول خليل بك ومماليكه الى مقام السيد احمد البدوي . فارسل محمد بك اعلم مولاه علي بك بذلك . فرجع الجواب ان خليل بل واصحابه حيث دخلوهم مقام البدوي . لا يهجم عليهم حفظاً لحرمة المقام . ولكن يخرجهم بالامان ويرسلهم الى الاسكندرية . واخرج امرًا من الوزير بذلك وان يطوف محمد بك وصحابه في جميع الاقليم ويقتل كل من وجده من السناجق والكشاف. فخرج خليل بك ومماليكه من المقام وسافروا

الى الاسكندرية بالامان . ورجع محمد بك وصالح بك الى المنصورة . وقبضا على اسماعيل بك وحسين كاشف ومحمد كاشف . وقطعا رؤوس الثلاثة . ورجعا الى مصر . وتلك الرؤوس قدامهما على الصواني الفضية . فارسل علي بك الى القسطنطينية واعرض للدولة العلية ان هؤلاء القوم كانوا عصاة متمردين وانهم حبسوا الوزير في القلعة . واخرج اعلاماً بذلك من العلماء والاشراف . وبعد ذلك ارسل الى الاسكندرية وخنق خليل بك شيخ البلد في القلعة . وطابت له الايام . وخافت من سطوته اهالي تلك البلاد . وكان علي بك رجلاً جباراً يحب الرئاسة ولا يريد ان يكون له شريك فيها . فكان يبذل جهده في قتل السناجق والكشاف حتى لا يبقى امامه احد . وجعل يتخذ رجالاً جديدة ويجتهد في قرض الوجاقات القديمة . وحدثته نفسه ان يسطو على الحجاز واليمن والشام ويعيد دار الخلافة الى مصر كما كانت في ايام الشراكسة . واقام علي بك في تلك الايام والياً على البلاد رجلاً يقال له احمد الجزار . وكان هذا الرجل اصله من بلاد البشناق من اقليم البوصنة . حضر الى مصر وخدم عند احمد كاشف . ولبس ملبوس المماليك وبعد ذلك توفي سيده . فانتقل الى خدمة رجل من السناجق يقال له عبدالله بك . واتفق ان عبدالله بك خرج يوماً الى الجيزة فقتلته العرب الهنادي . فانتقل الجزار الى خدمة ذي الفقار . فاقامه متسلماً على القرية في نواحي العرب الذين قتلوا مولاه فكان يترصدهم ويقتل من ظفر به منهم . فقتل اربعة من مشايخهم . وارسل رؤوسهم الى مصر . فصار له اسم هناك . وكان كلما قتل واحداً منهم يقول : يا لثار عبدالله بك . وبذلك قيل له احمد الجزار . واحبه علي بك وقربه اليه حتى جعله والياً كما مر . وبقي احمد بك الجزار في رتبة علي بك الى ان دعاه في بعض الايام . وطلب منه ان يسير مع محمد بك ابي الذهب الى قتل حسن بك جوجو . فمضيا . وراقباه حتى خرج من منزله ليلاً ومعه الجن علي بك . فهجما عليهما وقتلاهما وهربت اصحابهما . وعاد محمد بك واحمد بك الى الامير علي بك واعلماه بذلك فاغتاظ من قتل الجن علي بك . فاعتذرا اليه انه قتل غلطاً . وبعد ذلك البس علي بك الجزار سنجقاً وعظمت منزلته عنده . وكان ذلك بغير رضى صالح بك . فاحتسب علي بك منه وعزم على قتله . فدعا احمد بك الجزار

وامره ان يسير في قتله مع محمد بك ابي الذهب . فقال ان بيني وبين الرجل عهداً من حين كنا بالصعيد ان لا يخون احدنا صاحبه . والان لا انقض ذلك الميثاق . فانكر علي بك ذلك خوفاً من ان يعلم الجزار صالح بك . وتلافى الامر معه . فقال له : حياك الله يا احمد بك . الان عرفت انك تحفظ الوداد . وانا اردت ان اختبرك . فقد حظيت الان عندي اضعافاً . وخرج من عنده احمد بك الجزار الى صالح بك من فوره . واعلمه بما كان فقال صالح بك : ما اظن ان اخي علي بك يفعل هذا . لان بيني وبينه عهوداً ومواثيق. كما بيني وبينك .

ومن الغد حضر علي بك الى دار صالح بك وهو يعلم ان الجزار لا بد ان يعلمه بذلك . وقال له : يا اخي هل اخبرك احمد بك الجزار ما قلت له ؟ قال نعم. فقال علي بك: وانت يا اخي ينبغي ان تختبر رجالك لتعرف الخائن من الوفي . فلان من لا يحفظ الوفا. لغيرك لا يحفظه لك . ثم رجع علي بك الى منزله واخبر محمد بك ابا الذهب بكل ذلك . وقال له «الاصوب لنا ان نقتل صالح بك واحمد بك ايضاً . لاننا لا نأمن شرهما .» ومن ذلك الوقت صار محمد بك ينتهز الفرصة الى ان خرج يوماً صالح بك واحمد بك الى خارج البلد . فخرج معهما محمد بك ابو الذهب . ولما كان في بعض الطريق مشى محمد بك خلف صالح بك . وضربه بالسيف . فخرّ على الارض قتيلًا . وهربت اصحابه . وكان احمد بك الجزار متأخرا عنهما فخادعه محمد بك ابو الذهب. وتقدم به الى الجيزة وكان احمد بك على حذر منه لا يمكنه من فرصة عليه حتى جلسا ناحية في الجيزة واخذ محمد بك يباسطه حتى يأنس به . ثم جعل يمسح سيفه من الدم . ويقلبه . ويعجب من مائه ومضائه . وقال لاحمد بك: يا اخي كيف سيفك ؟ ارني اياه . فقال : ان سيفي لا يخرج من غمده الا لدمي . ونهض قائماً . فضحك محمد بك . ومازحه ليريه انه اتى ذلك بقلب سليم . ورجعا بعد ذلك الى المدينة . فمضى احمد بك الى منزله . ولبس لباس المغاربة وسافر الى بولاق . ثم الى الاسكندرية . ثم الى القسطنطينية . ثم الى حلب . ثم الى دمشق . وسيأتي تمام الكلام عنه .

واما علي بك فلما رجع اليه محمد ابو الذهب واخبره بقتل صالح بك وما

كان بينه وبين احمد بك الجزار امر غلمانه ان يدعوا الجزار من منزله . فاتوا منزله . وسألوا عنه فقالت زوجته : انه مريض . وبعد ثلاثة ايام ذهب محمد بك ابو الذهب الى منزل الجزار فلم يجده . وعلم انه قد سافر . ولكن لم يعلم الى اين . فارسل علي بك في طلبه برًا وبحرًا . ولم يجده . وقيل له انه سافر الى القسطنطينية . فاكتفى بذلك . وطابت له الايام . وانفرد بالولاية في مصر . ولم يبق له ضد ولا ند . واخذ يسطو على الوجاقات فيقتل بعضًا وينفي بعضًا . ويكثر من الجنود والانصار حتى تمهدت له الاقطار المصرية وعظم موكبه وكان اعظم اصحابه محمد بك ابو الذهب . وكان محمد بك رجلًا مهيبًا جميل الصورة سعيدًا في ركوبه خبيرًا بالقتال شجاعًا لا يبالي بالاخطار . ونظم الامير علي بك احوال مصر وقطع اللصوص والخطفة واجرى العدل والامان وهابته الناس وشاع ذكره في جميع الاقطار .

وفي سنة ١١٨١ (١٧٦٧) خسفت الارض في جانب نهر الصفا تحت قرية كفرنبرخ . وتزلزلت تلك الارض . فانتقل الجبل الذي هناك الى الجانب الثاني . وراحت اغراس لا تحصى تحت الهدم . وابيات هناك علاها الردم . فمات بها جملة اناس وكثير من المواشي وقيل انه بعد ايام كان يسمع صياح الديوك من تحت الردم . واجتمع كثير من التراب وغيره في مجرى النهر فاحتقن جملة ايام . وظل ماؤه معتكرًا جملة سنين وكان في ذلك المكان معادن كبريتية وهي باقية الى الآن في جانب النهر . واذا مست فاحت منها رائحة الكبريت ولعلها كانت هي السبب في ذلك . وقيل ان رجلًا من كفرنبرخ كان فوق ذلك الجبل . واذا بالجبل يمشي به كالسفينة . فاذا به قد صار في الجانب الاخر . فلم يضره ذلك . ولكنه اندهش فاختل عقله وعاش بعد ذلك عدة سنين مجنونًا . وكانت تلك الحسفة في ثامن عشر شهر كانون الاول .

(يتبع)

معجم العلائلي

بقلم الاستاذ منصور ابي صالح

شرع الشيخ عبدالله العلائلي باصدار معجمه « مقدماً بشكل دوري ليكون في جديده محلاً للنقد والتصويب » (ص ٢٣) فاستقبله الجمهور استقبالاً رائعاً في الصحف والمجلات والنوادي واعتبره اكثرهم حدثاً جديداً في اللغة يجدد شبابها ويرقى بها درجة عليا بعد وثبة الشدياق في القرن الماضي ونهضة المطران جرمانوس فرحات من قبل . واحتفى به الخاصة بحفلة حافلة قيل فيها كل جميل وقام رجال الحكم بواجبهم نحو المؤلف « فايد مجلس النواب اشتراك الحكومة بتقديره وشراء نسخ منه » (نشرة المعجم ص ١).

واطّلعنا على الكتاب فاذا بنا امام جهد بالغ ونصب مضن وجلد عجيب وثمرة « ليالي مؤرقة بين اشتات الكتب قديمة وحديثة » على حد ما قال المؤلف (ص ٢٢) .

الا اننا لم نقع ، في ما قرأناه عن الكتاب ، على بحث يليق بجهد المؤلف يصح تسميته مؤازرة له بالبحث والدرس بطريقة علمية تفي بالموضوع مع ان المؤلف دعا كل قارئ « الى ابداء الرأي حتى ولو (كذا بالاصل) مشوباً بالازورار » (ص ٢٣) وذلك شأن المنصرفين للخدمة بالاخلاص .

وهذه المشاركة بالبحث والدرس هي اجدى في نظرنا ، وفي نظر المؤلف على ما نعتقد ، من التقريظ والمكافأة المادية .

لذلك رأينا ان نؤدي ما يفرضه علينا الموضوع تلبية لداعي الواجب بدرس الكتاب بما امكن من الايجاز والاستيعاب مجتنبين الاختصار المخل والتفصيل المملّ .

١
نظرة عامة

١ – شكل الكتاب

الكتاب بقطع نصف يشتمل على مقدمة وبعض حرف الالف (الى اخين) منوع الحرف بين دقيق وكبير رائق التبويب ما بين اصل وفرع ، وفعل واسم

وحرف ، مجرد ومزيد ، معلوم ومجهول ، لازم ومتعد ، الى آخر ما وسع المؤلف من عناية بالفروق وايراد المقابل من لغتي الانكليز والفرنسيين .

٢ – لغة الكتاب

المؤلف متجدد متحرر . لِلُغَتِهِ في البحث الجديد طابع خاص عليه مسحة من الغموض والابهام شأن كل حديث غير مألوف يؤدّى بلغة جديدة لا يدرك المطالع مرماها بسهولة ولا سيما القارئ العاديّ فلا ينجلي قصد المؤلف وحقيقة فكرته الا بكد الذهن واعمال الروية وتكرار المطالعة واذا انجلى فهيهات ان يستوثق القارئ من انه احسن الفهم مثاله «لاوليتها غنى» «المحل المتهافت» «الصيرورة» بناء فوقي «السيبية العقلية» «دلالة الما صدق» اقصى التخالل في اللطائف واعلى التمدد في الجوامد (ص ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ١٨ ، ٢٨) ولغته كلها على هذا النمط في ما يبديه المؤلف من ارائه الخاصة حتى اذا تناول الابحاث المطروقة جاءت سهلة يتلقاها القارئ دون عناء .

فهذه اللغة وان تكن مفهومة بذاتها تغدو غامضة عند تطبيقها على الموضوع ومحاولة استشفاف مقصد المؤلف من خلالها على ان ذلك ان جاز في بحث علمي معد لنخبة من الاختصاصين فلا نراه يجوز في الابحاث المعدّة للعامة فحبذا لو ان المؤلف وضع نفسه موضع القارئ العادي وحاول افهامه بلغته على نحو ما كان يفعل المؤلف الافرنسي «موليار» المروي عنه : انه كان يقرأ على خادمه ما يكتبه ويسألها عما فهمت منه .

اضف الى ذلك بعض اغلاط شائعة على اقلام الكتاب اذا اغتفرت لعامتهم في مطبوعاتهم اليومية البخسة فلا يجوز ان يؤخذ بها مثل الشيخ اللغوي الذي لا يجيز لنفسه الا استعمال الكيمياوي ولم يكتب ولو مرة واحدة الكيماوي او الكيموي . فخليق بمثله الا يستعمل التعابير الآتية : سبق ونوهت به ، اتفق ورأينا ، حتى ولو ، كاي حي ، (صفحة ١٠ ، ١٣ ، ٢٣) بَلْه الاغلاط المطبعية وهي غير قليلة ، لا يكن التسامح بها في مؤلف جدي معد لتثقيف الناشئة والا باتت مدرجة لتعميم الخطإ وهذا ما انكره المؤلف نفسه (في كتابه مقدمة صفحة ١١٢ بختامها) ووصفه «بانه ترويج للخطأ واشاعة للاغلاط».

وهناك بعض عبارات ليس لها من ميزة الا طلاوة الجديد : مهما يكن من شيء ، المنوه به ، حتى لحامر ، الخ .. (صفحة ٤٥٢) .

٣ – مكانة الكتاب

على ان قيمة التأليف ما كانت ولن تكون بالمبنى جل او حقر بل كل العبرة بالفكرة المتجسدة فيه فالكتاب اذا قسنا متنه اللغوي بامثاله رجح عليها جمعا ترتيباً وتبويباً وسبكاً وايضاحاً غير ان المؤلف أدرك ان سلوك الطريقة القديمة ولو بتفوق كبير لا يفي بالحاجة بل لا بد من طريقة علمية منطقية تنهض باللغة الى مصاف اللغات الحية الوافية بمطالب الحياة .

وكل واقف على معاجمنا يدرك انها ركام من المتناقضات بل تيه يضل فيه الخبير ولا غرابة في الامر فجل الذين عنوا بها اعاجم غرباء عنها من سيبويه المأثور عنه قوله خذوا لتتكلم من اعجمي . الى الفيروزبادي صاحب « الضادي والمضادي والضوادي » (ص ٢ من مقدمته) الى الروانف والجيوب والعضرط والصلة والشناتر الخ الخ (ص ٤ من مقدمة الهوريني الثانية عليه) ومن بالغ النكاية ان الهوريني اورد هذه العبارة وامثالها في مقدمته التي سماها « فوائد لطيفة » . وجعل عبارة العضرط والصلة السابقة من مفاخر الفيروزبادي البالغة والجناية البالغة انه نسبها الى سيد البلغا. بلا منازع الامام علي .

وقد تنبه الى هذه العيوب اكثر المشتغلين باللغة من القدماء الى المحدثين كالشدياق واليازجي وزيدان فطرقوا الموضوع وادوا خدمات جلى للغة . واطل العلائلي والعمل لا يزال في مبتداه فاخذ على نفسه مهمة الاصلاح وذلك حيث يقول : « كثيراً ما اتهمت العربية بان الكلمة فيها تنشر جناحيها وتطويها على معاني شتى من كل واد » (ص ١٤) والواقع ان المؤلف ترفق بالمؤلفين بقوله : « اتهمت » لان معاجمنا خالية من كل صلة معنوية او رابط منطقي فليس هناك تهمة مشكوك بها بل حقيقة ناصعة وكل مادة في اي معجم شئت تشهد بان لسان العرب لم يدرس بطريقة منطقية علمية بل ان اصحاب المعاجم قصروا همهم على جمع اللغة كما تيسر لهم اكداساً ركاماً قدم بها الفرع الغريب على الاصل الفصيح كانهم رأوا ان مهمتهم تفسير الغامض اولاً وخلطوا به الدخيل

والحوشي والسائغ والجلي بحيث اختفى على العربي وجه لغته اختفاء تاماً .

فتلافياً لذلك استهدف المؤلف القاعدة الآتية :« استخلاص الوحدة المعنوية الاشتقاقية الكبرى اي المعنى الجامع بين كل مشتقات الجذر اللغوي الواحد سالكاً فيها حكاية تطور الجذر بين حقيقة ومجاز » (ص ١٤) ويليه اهداف اخرى كالتفرقة بين ابواب الافعال تبعاً للمعاني وبين الحقيقة والمجاز والتزيل والنقل الى عدة اهداف غيرها بلغت الخمسة عشر فضلاً عن قواعد اربع وضعها للموازين وتأصيل الفروع والافعال والتعدية واللزوم الخ ...

فسبيلنا الالمام بهذه الاهداف والتعقيب عليها بما يبدو لنا ورائدنا تسديد الخطى في خدمة اللسان . اما ان نخطئ او نصيب فذلك شأن كل باحث وللجمهور الرأي الاعلى .

وغاية المأمول ان يتناول العارفون الموضوع بالعناية اللائقة به ليستقر الجمهور على رأي نهائي فاللغة لغتنا حياتنا بحياتها .

٢

الوحدة الاشتقاقية

ذكر المؤلف لكتابه عدة حسنات كما قدمنا . فأولى هذه الحسنات بالعناية « الوحدة الاشتقاقية او المعنوية » لانها بنظارنا تشبه السلسلة الفقرية للغة . وكل جهد لغوي لا ينحو هذا النحو مصيره الاخفاق التام — واكبر عيوب معاجمنا اهمالها هذه الناحية المنطقية . فللمؤلف كل الفضل باتخاذه هـذه القاعدة اماماً يحتذى ونبراساً يستضاء به .

غير ان القاعدة شيء واستعمالها شيء آخر فالعبرة كل العبرة في تطبيقها .

ان ابن خلدون وضع مقدمة لتاريخه جاءت بدعة في عصره ولا تزال للان ذات شأن ولكن التاريخ الذي وضعه جاء مطبوعاً على غرار ما تقدمه وبقيت أصول مقدمته الثمينة حرفاً مهملاً .

مقارنة

فلم ننظر في الوحدة اللغوية وتسلسلها المنطقي عند المؤلف مبتدئين باول

المواد : الالف والباء . فنثبت المتن اولاً اخذًا عن المعاجم السابقة كاللسان والفيروزبادي ومحيط المحيط والبستان ثم نقابله بما ورد لدى المؤلف ثم نعرض ما لدينا .

١
في الثنائي

١ – مثال اول

ا) — ابَّ : في المعاجم السابقة وردت كما يلي

« ابَّ للسير » : تجهز ، الرجل : صاح ، الى وطنه : حنّ اليه ، هزم بحملة صادقة ، يده الى سيفه : ردها اليه ليستله ، الشيء : حركه ، أبَّ أبَّه ، قصد قصده . ويليه المزيد .

« ابّ » : صاح ، نابّ فرح كثيرًا وتعجب ، ائتبّ تهيأ وتجهز .

« الأَباب » : الماء والسراب ، الأُباب معظم السيل .

« الابُّ » : ما تشتهي الانعام رعيه كالفاكهة للانسان .

« الإِبابة » : الطريقة .

ب) — ابَّ — عند العلايلي

وبالرجوع الى معجم العلايلي نراه قدم لهذه المادة بما خلاصته : « لهذا الجذر في الساميات مسيس بدبيب الحياة وتجدد النضرة والخصوبة ...

اما القدر المعنوي الجامع في دائرة العربية فانه جمع العزم على الرغبة وصبّه في حركة او نزوع الخ » وقد اطال المقدمة ولم يعلل لرأيه هذا بدليل ما ، ولا حاول تطبيق المادة على مقدمتها ليمكن ان يقال ان رأيه مستمد من متن اللغة وان الاستعمال يشهد بصحته وذلك انه اورد المتن كما يلي .

« اب » الرجل لشأن ما كالسفر : تهيأ واستعد وتجهز .

« اب » « مجازا » الى الوطن : حن ، في وجه خصمه : صاح ، يده الى سلاحه ردها ليستله .

« اب » المحارب : ، غلب بحجمة صادقة ، الشيء : حركه .

« ائتبّ » المسافر ، تجهز ، ابّب المتازع : صاح .

« تأبّب به » : فرح كثيرًا ، السامع : تعجب بسذاجة ، الفتى : تبسم تبسم الابله .

الأباب : الماء والسراب ' الأباب معظم السيل او الموج .

« الابابة » : الطريقة ' الاب : المرعى .

« إبان » : الوقت ولا يستعمل الا مضافاً . اه .

فلا ادري اذا كان لمقدمة هذه المادة علاقة ما بمانيها المنّصلة اعلاه وهل من دبيب للحياة فيها او جمع العزم وصبه . ثم هل تظهر الوحدة الاشتقاقيـة والمعنى الجامع بين المـاء والسراب والموج والوقت وهل من فرق كبير بين ما ورد في المعاجم السابقة وما تدمه المؤلف .

والنتيجة انني ارى مفردات هذه المادة لا تزال غامضة متضاربة بعيدة عن المنطق شأنها في المعاجم القديمة .

ج) — ابّ — كما وردت لدينا

وددنا لو نسجت هذه المادة كما يلي :

« ابّ » : تحرك وحرك .

« ابّ يؤب ويئب ابا وابابا وأبابة وإبابة وايباً » : الرجل : (لازم) تحرك صائحاً من فرح او حنين الخ .

« ابّ ابه » : تحرك كحركته بمعنى قصد قصده .

« ابّ للسير » : تحرك له بمعنى تجهز .

« ابّ الى وطنه » : تحرك اليه حنيناً .

« ابّ على خصمه » : حمل عليه حملة صادقة هزمه بها .

« ابّ الشيء » : (متعد) حركه .

« ابّ يده الى سيفه » : مدها اليه ليستله .

« الابّ » : كل ما انبت الارض من مرعى للانعام كالفاكهة للانسان .

« الاباب » : (مصدر) الحراك مطلقاً فيرد بمعنى الجهاز يقال : هو في ابابه (اي في جهازه) .

واطلق على الماء والسراب والسيل والموج [وارى جواز الطلاقـه على اشباهها كالضياء والرواء والسراب والضباب الخ . . .] ومنه المثل : « اذا اصابت الظباء الماء فلا عباب وان لم تصبه فلا اباب » اي ان وجدته فلا تعب منـه (والعب الشرب بغير تنفس) وان لم تجده فلا تسعى اليه . يضرب لمن يعرض عن الشيء استغناء .

« الأباب » : معظم الشيء من الموصوفات اعلاه (اي معظم الماء والسيل والموج الخ . . .)

« الأبابة » : (مصدر) الحركة بمعنى الطريقة يقال : ابت أبابته بمعنى استقامت طريقته (اي حركته) .

« اب ونأب وأتنب »: مزيدات اب بمناها اي : تحرك : صائماً . او فرحاً او تمجباً او متجهزاً .

تعليل : ومن حق القارئ ان يسأل ما هو الدليل على ان « اب » معناها « تحرك وحرك » وان الاباب هو الحراك وليس الماء والسراب الى آخر ما خالفنا فيه اصحاب المعاجم .

فهوذا الجواب : اما ان معنى اب « حرك » فان جميع المعاجم الكبيرة قد نصت عليه وان تكن ذكرته في آخر المادة واغفلت تحرك . واما ان هذا المعنى هو الاصلي دون سائر المعاني الكثيرة المتكدسة في المعاجم كما ابتينا اعلاه فدليله ان الكلمة قلما تحتمل عدة معان اصلية بل هي في الاعم الاغلب ذات معنى واحد اصلي تتفرع عنه سائر المعاني بالاستعمال مجازاً او استعارة او تشبيهاً او كناية الخ .

فسبيل اللغوي استعراض المادة والالمام بجميع معانيها ثم العناية بتقفي المعنى الاصلي بدلالة ما عقلية او نقلية والضابط العام الذي قلما يخطئ بهذا السبيل هو ان المعنى الاصلي ينطبق على معاني الفروع ولا يعكس فاذا سلكنا هذا الطريق في تقصي المعنى الاصيل في اب نرى المعاجم نصت على الحركة ونرى الحركة قوام سائر المعاني فلا استعداد ولا تجهز ولا هجوم ولا صياح ولا شهر سلاح دون « حركة » مع ان الحركة يمكن ان تقوم بغير سلاح وهجوم وصياح وتجهز واستعداد، لذلك لم نتردد بان المعنى الاصلي هو «تحرك» لللازم من « اب » و« حرك » للمتعدي منها وكل من الف البحث العلمي يسهل عليه تتبع الموضوع .

اما المعاجم الصغيرة الموجزة كمعجم الطالب والمنجد والمعتمد فقد اغفلت المعنى الاصلي بتاتاً وذكرت ما استحسنت من الفروع وكان الاولى بها ايراد المعنى الاصلي وبه الكفاية ولها ذكر ما يروقها من الفروع .

اما المعاجم المستوفاة فان وجب فيها تقصي المعنى الاصلي وايراده فلا يكفي الوقوف عنده بل يجب مواصلة البحث على الخطة ذاتها في ترتيب الفروع فكم من فرع اصبح اصلاً جديداً تبنى عليه فروع جديدة تبعاً للحاجة، فلا بد

من مرافقة الالفاظ بتطورها وتحولها من مدلول سابق الى مدلول لاحق الى ان تستوفي مفردات المادة كلها .

واما « الأَباب» فلا يستطيع الخروج على مادته فهو مصدر اب فيجب ان يحتمل معناها ولا عبرة بشروح اللغويين وتفاسيرهم فهي موسومة غالباً بطابع التسامح وعدم الدقة بل العبرة كل العبرة بالنصوص اللغوية الواردة في المتون الموثوقة كالشعر الجاهلي والمخضرم والاموي والنثر الصحيح واعلاه الكتاب الكريم (القرآن) وما صح من نهج البلاغة وامثاله :

واليك البيان : نصت جميع المعاجم ومنها معجم العلائلي في مادة « اب » ان الاباب هو الماء والسراب ومنهم من قال الماء او السراب الا انهم في مادة « عب » قالوا : العباب شرب الماء، ومنه قولهم : « اذا اصابت الظباء الماء فلا عباب وان لم تصبه فلا اباب» وشرحوه بقولهم : « اي ان وجدته لم تعب منه وان لم تجده لم تتهيأ لطلبه وشربه»وهو يضرب لمن ظفر بشيء فاعرض عنه استغناء ».

. وقد شرح لسان العرب لفظة الاباب في المثل المذكور بقوله : لم تأتب له ولم تتهيأ لطلبه فهذا المثل هو نص لغوي ثقة ردّ اللغويين الى الصواب واجبرهم ان يعطوا « الاباب » معناه الصحيح اي الائتباب او التهيؤ اي الحراك كما رأيت اعلاه ذلك برغم اجماعهم في مادة « اب » على ان الأباب هو الماء والسراب .

وللمكابر ان يقول: لماذا لا يكون شرح المثل بالتهيؤ والائتباب هو الخطأ. والاولى شرحه بالماء والسراب فهوذا الجواب : لو صحّ ان الصواب هو الماء والسراب لبات المثل بلا معنى اذ يكون التأويل اذا اصابت الظباء الماء لا تشرب وان لم تصبه فلا ماء ولا سراب اي لا تشرب ايضاً ! فهل هذا كلام معقول . ولو انه ممكن القبول لما عدل عنه اللغويون الى الائتباب اي التهيؤ او الحراك . والنتيجة ان الاباب لا يمكن ان يطلق على الماء والسراب الا من باب الوصف على ما اثبتناه اعلاه . وفي شروح اللغويين ابهام وتسامح وعدم دقة كأنهم ارادوا ان يقولوا الاباب صفة للماء والسراب فاختصروا وقالوا : الاباب هو الماء والسراب ومثل ذلك كثير .

« الإِبّان » : لم نتنبه بعد لهذه المادة لان الاشبه به ان يكون من الأُبنة ' العقدة في العود ' ومنه قولهم جاء في ابان الرطب والثمار اي وقت خروج الرطب والثمار من أُبنته

او أبّنه ومنه اطلق على الوقت نقيل ابان الحر والبرد كما قيل : كنن الا واكه في اباها – ولهذا ورد « ابان » في المعاجم السابقة في مادة (ابن) . واكثر استعماله مضافاً كما رأيت إلا ان هذا لا يمنع وروده غير مضاف ومنه عن اللسان .

ابان تقضي حاجتي ابانا اما ترى لنجحها أبانا

ومن نثر الجاحظ على لسان معاذة العنبرية قوله « لكل شيء ابان » (كتاب البخلاء، قصة اهل البصرة من المسجديين .)

مثال ثان

ا) — « ات » — في المعاجم السابقة

« اتّ فلانا » : غته بالكلام ، كبته بالحجة ، داسه ، شدخه .

« اتا في السير » : استقام .

« أتت الماشية ، الشجرة » : نمت .

« اتا عليه او به » : وشى به عند السلطان .

« الاتاء » : النماء ، الزبد .

« الإتاوة » الخراج ، الرشوة ، وقيل الرشوة على الماء خاصة .

« الاتاوي والاتي » جدول تسوقه وتسهله الى ارضك ، السيل الغريب ، الرجل الغريب .

« الاتو » الطريقة ، الموت ، البلاء ، المرض الشديد ، الشخص العظيم ، العطاء .

« الاتوة » الدفعة . ومنه حديث الزبير كنا نرمي الاتوة والاتوتين ، اي الدفعة والدفعتين ، يريد رمي السهام عن القسي .

« اتاه يأتيه » جاء ، حضر ، عليه الدهر : اهلكه ، الامرَ ، فعله ، على الشيء انفده ، الشيء بلغ آخره ومرّ به ، الله لفلان امرَه : هيأه

« أتي فلان » اشرف عليه العدو .

« أتّى الماء وللماء » وجه له مجرى حتى يأتي الى مقره .

« آتى » اعطى ، اليه الشيء ، ساقه ، فلاناً : جازاه ، على الامر : وافقه ، تأتّى له الامر : تهيأ وسهلت له طريقه .

« استأناه » استبطأه .

« الميتاء » التلقاء ، المطاء .

ولا حاجة لاسترعاء انتباه القارئ الى التضارب الظاهر ما بين الكبت بالحجة والدوس والشدخ . وما بين :

اتا في السير استقام ، والاتوة الرشوة والخراج . وما بين .

الاتو الطريقة والموت والبلاء والشخص العظيم والعطاء .

فلننظر الآن في « المعجم » لعله يجلو الابهام .

بديعية في عيد ميلاد السيد المسيح

للخوري ارسانيوس الفاخوري

للمرحوم الخوري الشاعر ارسانيوس الفاخوري قاضي نصارى جبل لبنان عدة تآليف في اللغة العربية وله ديوان شعر[1] مطول فيه ثلاث بديعيات الاولى في مدح السيد المسيح ووالدته ورسله الاطهار مطبوعة ومشروحة مطلعها :

فحيّ حيَّ الجليل الجامع العظم   وبيت لحم وآلا قدست بهم

والثانية في مدح السيد المسيح وامّه ورسله وكنيسته مشروحة شرحاً مطولًا مسهباً طبعت ابياتها في شرح مقالات علم الادب للمرحوم العلامة الطيب الاثر الاب لويس شيخو اليسوعي والثالثة لم تزل غير مطبوعة في مدح الطفل الالهي ننشرها في هذا العدد من المشرق بمناسبة تذكار ميلاد السيد المسيح وهي :

الجناس المطلق : للشوقِ ابكي والرشا يبتسّمُ
بل من لظى وَجدي وُجودي مُعدمُ

الجناس المُصحّف : والدّمعُ فاض من النّدى لكنّهُ
قد غاض من نار بقلبي تُضرمُ

اجناس الملاحق : ولأنّه بالوصل شحَّ ولم يَجُدْ
قد سحَّ جفني والمدامعُ عَندمُ

نوع الاكتفاء : ولو اجوى هم يكتمون جواهُم
والدمع يفشي ما به هم يكتموا[2]

الجناس المركب : يا صاحِ سِرْ بي نحو ذيّاك الحمى
سِرْ بي به ثمَّ الهنا والمغنمُ

نوع الاستخدام : وأمدُدْ يداً لي كي اليه تقودُني
وامننْ بها كرَمًا فانت المُنعمُ

---

١) شرح هذا الديوان شرحاً مطوّلًا وافياً المنعم يوسف الفاخوري حفيد ابن اخي الشاعر القاضي .

٢) اي يكتمون .

الجناس التام	:	فالراحُ فيه نديرُ راحَ مسرَّةٍ
		يُلقى بها عزٌّ أعزُّ واعظمُ
الجناس المذيَّل	:	فالقلبُ يشكو ثمَّ يشكرُ خلقهُ
		واهاً لشاك شاكرٍ يتكلَّمُ
الجناس المقلوب	:	عن عهده ما حالَ لمَّا لاح من
		إعراضه ما للفؤادِ يكلِّمُ
الجناس المعنوي	:	بل كان فيه ابا معاد راسخاً
		اذ لا تزعزعهُ رياحٌ تهدمُ
نوع المطابقة	:	فالصدُّ أحنى غصنَ قدّي بالاسى
		والعطفُ يوليني الهنا ويُقدِّمُ
ائتلاف اللفظ مع المعنى	:	كالقوس بل وترٌ وسهمٌ صرتُ من
		وَجْدٍ اهاجت قوسُهُ والاسهُمُ
نوع الافتنان	:	ما اقبحَ الصرمَ الذي حرم اللقا
		ما أحسن الوصل الذي لا يحرمُ
الجناس اللفظي	:	فانا الذليل قواهُ اورثني الضنا
		وليَ الدليل على الضنا لا يلزمُ
نوع التذييل	:	بسم الخليُّ لدى بكائي انا الشجيّ
		إنَّ الخليَّ لدى بكاه يبسمُ
نوع الالتفات	:	لبكايَ يضحك عازفاً ومغنياً
		فاصمُتْ فانك جاهلٌ لا تفهمُ
نوع حسن الاتباع	:	فاعشق وذُقْ طعم الهوى قبلاً ولُمْ
		ما في الهوى من لذَّةٍ لا تعلمُ
نوع التوجيه	:	فلفعل حبٍّ حاز رفعاً ذو الهوى
		اذ رفعُ فعلٍ فاعلاً مستلزمُ
الجناس المحرَّف	:	وعليَّ في حُكمٍ بغى حَكَمُ الهوى
		اذ لم يُراعِ الحق في ما يحكمُ
نوع الالتزام	:	اني لاحكام القضاء مسلِّمٌ
		ولسانُ حاليَ بالهوى متكلِّمٌ
نوع سلامة الاختراع	:	أتُرى أرى هذا الخليَّ بلوعةٍ
		والدهرُ يمنعهُ الوصالَ ويصرمُ

نوع التراهة : مني التسالمَ والإخاءَ لــه بنى
فأبيتُ اذ بالصـدق لا يتكلَّمُ

نوع الاستعارة : أنما يباطيني الزمـانُ بمعصمٍ
كأس المنى وبراحِهـا يتنعَّمُ

نوع مراعاة النظير : ذيل الهجا قد طولتـه عواذلي
خاطوا رداءً بالملامـةِ سهـوا

الجناس الملفّق . ظبيٌ ارى قدمي يسعى في هوا
هُ قد اراق دمي لاني مُغرَمُ

نوع التفضيل : قد افتن العشاق باهي حسنـهِ
فالحسنُ فيهِ جوهرٌ لا يُعـدَمُ

المدح في معرض الذم : لا عيبَ فيهِ سوى جمالٍ باهرٍ
تُزرَى بها الأقمـارُ ثُمَّ الأنجمُ.

نوع الاستطراد : انوارهُ لنواظرٍ راقت كما
قد راقَ بدرٌ في ليالٍ تُظلِمُ

نوع الاستدراك : قالوا نرى رميَ السهامِ به فتا
تٌ بلى ولكن فيَّ هذي الاسهُمُ

نوع الابداع : فالصبُّ لا يحظى لنيـل مراده
«حتى يُراقَ على جوانبه الدمُ»

نوع المراجعة : قال العدوّ أتركَ، هواهُ قلت لا
قـال أسلْهُ قلت السلوُّ محرَّمُ

نوع المراجعة : بل انت سالٍ قال لي فاجبتُه
فوراً لجسـمي واللظى بي تُضرِمُ

نوع المناقضة : اني لأرجعُ عن هواهُ اذا المشـ
بُ المَّ وعدتُ طفلاً يفطَمُ

نوع المقـابلة : فالبعـدُ عنه منغّصٌ ومُصغّرٌ
والقرب منه مُسعـدٌ ومعظّمُ

نوع رد العجز على الصدر : يستمليمُ الولهان عن شرع الهوى
فينالُ ما بهواهُ مَن يستمليمُ

نوع الهزل الذي يراد به الجد : بردٌ حشاك بنار عشق قال لي
لما رآني باللظى انضرَمُ

نوع ارسال المثل	:	بل خذ لنفسك ما حلا فاجبت لا يحلو لديَّ سوى هواهُ مَطعَمُ
نوع الموازنة	:	يا عاذلي قف أنت مَرءٌ عاقلٌ واترك ملاماً ثُمَّ طعناً يؤلِمُ
نوع التعريض	:	ما أشنعَ العذل الذي لم يأتِهِ لذوي الهوى الا الخليُّ الأشأَمُ
نوع تشابه الاطراف	:	دَعني وشأني انني ذو لوعةٍ ذو لوعةٍ من شأنهِ لا يسأَمُ
نوع التصريع	:	اني بهِ راضٍ لهُ مستسلمٌ فالعذرُ من كلماتِ نصحك يَنجمُ
نوع التسليم	:	هَبْ إنني سلمت في ما ترتأي أفأيُّ بعدٍ ذا ليَ يَفدمُ
نوع الاستثناء	:	فاليَّ أحسنَ كلُّ عالمٍ حالتي ما ساءَني إلّا العذولُ المُجرِمُ
نوع الهجاء بمعرض المدح	:	ما سآءَهُ أحدٌ اذىً وإهانةً الا ودان له فلا يستنيمُ
نوع الترصيع	:	وَلَدٌ شهيٌّ ثغرهُ متبسّمٌ ربٌّ جبيٌّ قدرُهُ متعظّمُ
نوع التعريف	:	رشاً ظريفٌ ظرفه هو دائمٌ والظرف في رشإٍ يزولُ ويَعدَمُ [1]
نوع المماثلة	:	بيهائِهِ متوحِّدٌ بطباعهِ متكمِّلٌ لكمالِهِ مستلزمُ
نوع المناسبة	:	ولطيف جسم لطفهُ مستغرَبٌ وظريف شكل ظرفهُ متحكِّمُ
نوع العكس	:	نفس الجمالِ جمالُ نفس مُتيَّمٍ لكمالِ كلِّ العاشقين مُحتِّمُ
نوع التبسيط	:	باهي السنى كلُّ المُنى معطي الهنا نائي العنا كثر الثنا والمكرمُ

---

١) أراد به الطفل الالهي .

نوع حصر الجزئي والحاقه بالكلي : فهو الضيا والعالمُ القدسيّ وال
خيراتُ اجمعُ والندى والأنعُم

نوع الاتساع : طفلٌ وشيخٌ في فعالِ صباتِهِ
والكلُّ في اسرٍ لَهُ مستسلمُ

نوع التشبيه : عيناهُ مثل حمامتين على مجا
ري الماء نحو هيامنا متوسّمُ

نوع التدبيج : نجلٌ حبيبٌ ابيضٌ بل اشقرٌ
وبياضُهُ لسواد قلب يعدمُ

نوع التجزئة : فناؤهُ متكرّمٌ وضياؤهُ
متضرّمٌ وسخاؤهُ متعظّمُ

نوع ائتلاف اللفظ مع المعنى : خُرطت يداهُ من سبيكة عسجدٍ
في مضجع الغردين يوماً يضجعُ

نوع التشبيه : تُحكي ضفائرُهُ سعوف النخل بل
مثل الغرابِ سوادُها المتفحّمُ

نوع اللغز : فرعٌ جا يشفي اصبٌ قلبَهُ
وعداهُ من تصحيفهِ تتهزّمُ

نوع التمثيل : وبروق منه العين مطلعُ فرقهِ
والصبحُ يجلو ثغرُهُ اذ يبسمُ

نوع الاقتباس : شفتاهُ مرًّا تقطران وحلقُهُ
حلوٌ يروق العينَ منهُ المبسمُ

نوع التشريع : جاءَ السنى فالليل ماط ازارَهُ
وانى الهنا ونأى الشقاءُ المُشئمُ

الجناس المشتق : في الارض ضاءَ ضياؤهُ هذا الضيا
وبه استضاء كلّ الانام وآدمُ

نوع التوشيح : للمشرين العُرب والعجم الضيا
ء هداهُمُ وعن الضلالة أحجموا

نوع الفرائد : وبه العروسة رنّمت بنشيدها
عقدَ المديح بدرّ لفظٍ تنظمُ

نوع المبالغة : عنقودُ كافورٍ حبيبي عرفُهُ
قد عرّف الدنيا وَفيهِ تنعُمُ

نوع التعريف	:	ما روضة فاقت شذًى يومًا باط يب من شذًا منه بنم ويعظمُ
نوع الاغراق	:	لو شمَّهُ الأعمى لأبصر ناظرًا والطيبُ منه لكل جرح بلسمُ
نوع الغلوّ	:	فاذا على ميتٍ صباهُ تنسمت فبذا النسيم يكادُ يحيا المُعدَمُ
نوع التهكم	:	ظبيٌ حبيبي فهو لي وانا لهُ وبنار حبٍّ في الهوى اتضرَّمُ
نوع العقد	:	أفأين ترقد في الظهيرة قايلًا أوْ أين ترعى جائلًا لا أعلمُ
ائتلاف المعنى مع الوزن	:	ان المحبة أضعفتني للنوى واذانا شوقي اليه المُسقِمُ
نوع الاشارة	:	واذا رأيتم من لهُ نفسي صبت فصفوا لهُ ما بي عسى لي يرحمُ
نوع المزاوجة	:	فاذا الحبيبُ دنا فيشفي ذو الجوى منهُ الوصالُ بدا فيشفى المُغرمُ
نوع الجمع مع التفريق	:	وهو السنى للصحب طرًّا رشدُهُ والنارُ للاعداء سالٍ مُعدِمُ
نوع تجاهل العارف	:	أجمالُ وجهٍ ام سنى بدرٍ بدا منه على أهل الهوى يتحكمُ
نوع الايغال	:	بدرٌ بحل الحب مني مالكٌ وعلامةُ التمليك فيه توسمُ
نوع التطرنط	:	ويجيزُ استولى على اجزائه فغدا بجملتهِ لهُ لا يُقسمُ
نوع التورية	:	لوصاله اهوى البكا وفنباء عي ن ثمَّ مالٍ ما به انكرَّمُ
نوع التوشيح	:	ولهُ نثرت الدمع السخيّ تشوّقًا دُرًّا وفي سلك الهوى له انظمُ
نوع الاتفاق	:	فهوَ المسيحُ الناصريُّ المشتهى والنصرُ يُرتقى من اليه يقدمُ

نوع الايجاز : ختمَ الحنيفةَ شرعُه ومجيئُهُ
والانبياءَ فقولُهم هو يختمُ

نوع التكميل : حملٌ فدى كل الانام بذبحهِ
فسما حنوًّا والفدا ذاك الدمُ

نوع التتميم : قد مات طوعًا بالصليب معلقًا
ونجا بذاك الموت حقًّا آدمُ

نوع العنوان : وبفصحه نجتِ الانام كما نجا
في فصح موسى شعبُهُ المتظلّمُ

نوع المساواة : بقيامهِ وصعودهِ فتح السما
لاهوتُهُ للمعجزات متمّمُ

نوع التوزيع : انعامُهُ عمَّ العفاة معزّيًا
وجميعُهم عادوا بعزٍّ يعظُمُ

نوع المختلف والمؤتلف : ساوى الملائك بالطهارة والسنى
وعليهم بكرامة متقدّمُ

نوع العطف : مولى تدّين من ابيه حاكمًا
للناس اجمعهم يدينُ ويحكُمُ

نوع ائتلاف المعنى مع المعنى : قاس رحيم في القضا يقسو على آل
أشرارِ أمّا التابعين فيرحمُ

نوع تشبيه شيئين بشيئين : منه ندى عمَّ الأنام بأسرهم
كالسيل والمزن الندى والمبصمُ

نوع الترتيب : بالأمس ثم اليوم ثم غدٍ ندا
هُ فائضٌ ابدًا لهُمُ لا يُحسَمُ

نوع الجمع : فالحلمُ والاشفاقُ والغفرانُ ثمَّ
رحمةٌ به فينا لها من يندمُ

نوع الطاعة والعصيان : كم يرحمُ الصدّيقَ حين بلائهِ
والمعتدي من رحمةٍ كم يعدمُ

نوع المشاكلة : يجزي الفضيل بفضلهِ ثم الـ
أثيم باثمهِ يومًا بحكم يجزمُ

نوع السلب : لا يمنعُ العافي الفضيل وصالَهُ
بل يمنعُ العاتي المدي ويصرمُ

نوع حسن النسق : للبار هادٍ والخوارج مبتلٍ
والخلّ مغنٍ والمعادي مُحرمُ

نوع نفي الشيء بايجابه : بالمنّ قطعاً لا يشين نوالـه
بل من زحام عفاتهِ لا يسأمُ

نوع المجاز : كفٌّ واعطاءٌ وجودٌ فائقٌ
بحرٌ وامواجٌ وسيل مفعَمُ

نوع الطي والنشر : يا سائلين استعطفوه بأمهِ
بجرى الندى وبها تُرانُ وتُرحَمُ

نوع الترديد : فهي الشفيعةُ والمحبّةُ والرجا
والخيرُ والانعامُ ثمَّ المغنمُ

نوع الكناية : احسانها عمَّ البرايا كلّها
ابوابها من قاصديها تُرحمُ

الجناس الملمَّع : يا عاشقين هي الشفاء لجرحكم
وطلا هواها حسوهُ هو سمُّهم

نوع الادماج : فابغوا الشفا والدمع جارٍ فوقَ خـ
ـدٍّ عسجديٍّ فيه لون عندمِ

نوع التكرار : هيهات هيهات الشفا والدمعُ لم
يذرفه جفن بالبكا يتكلّمُ

نوع الاشتراك : حقًّا بماء العين نيلٌ للاما
ني عينُ رحمتها وفيها نعظمُ

نوع الاستتباع : تسمو باحسانٍ سموَّ ترؤفٍ
ونبيت عبداً في حماها يخدمُ

نوع التفويف : فتقدَّموا وتلطَّفوا وتوسَّلوا
واستعطفوا واستغفروا واسترحموا

نوع براعة الطلب : يا ربَّ نفسي انها في حاجةٍ
فسخاك في حاجاتها عن أعلمُ

نوع التحريك : باوايَ شدَّت إزرَ مَن حاقني
نعماك حلت طعمُهُ يا منعمُ

نوع الاستعطاف : فالبدرُ من انوار وجهك اهدني
سُبُلَ الخلاص ايا سراجاً نضرَمُ

نوع حسن البيان : اني الى صلة لاحوجُ كسَّن هنا
عدني وصالي يا سخياً يكرمِ

نوع السهولة : ولك الثنا والشكر من كل الورى
والحمدَ بجدي القلبُ مني والفمُ

نوع الاحتراس : واليك خذني غير مأمورٍ وفي
ربع العُلا الباهي بخدرك أخدمُ

نوع الترشيح : والدرُّ انظمُهُ به للمدح في
عُلياك والفمُ بالقريض يُدمدمُ

نوع التهذيب والتأديب : يشدو به ثغر الملائك مُجرياً
صوتاً رخيماً بالمديح يُنغمُ

نوع الايضاح : ويروقُ صدحٌ بلابلٍ في عرشهِ
فيشيد تسبيح بلفظٍ ينظمُ

نوع البسط : وعلي ستر الرحمة أسدل منعماً
ولك الثنا ومن البلايا أسلمُ

نوع حسن الختام : حسن الختام انا الرفيق فارتجي
أنعمْ بـه يا خيرَ مولى يُنعمُ

الاب اسحق ارملة السرياني

١٨٧٩ - ١٩٥٤

بقلم الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

في شهر شباط الفائت توارى وجه المستشرق الكبير حبيب زيات تاركاً وراءه فراغاً عظيماً في دراسات تاريخ الشرق المسيحي الاسلامي . وفي ايلول من هذه السنة نفسها وارى الثرى عالماً اخر تاركاً بعده ثلمة كبرى في دراسات الادب والتاريخ السرياني ، الا وهو المرحوم الاب اسحق ارملة الذي ما برحت ابتسامته منطبعة في ذاكرة الذين عرفوه وغرفوا من بحر علمه الزاخر وكان ذلك العلامة يقوم بخدماته صامتاً ولفظ انفاسه ذات صبح من اصباح ايلول وكان وحده مع ربه الذي دافع عنه بجرأة وحزم كما سيمر بنا .

ومما تميز به الاب ارملة في اثناء إضطلاعه بوظيفته الكهنوتية ذلك الوجدان وتلك اليقظة المستمرة لكهنوته . فانه كان كاهناً طوال ايام مهمته . ولقد رسخته بحوثه التي قام بها في ذلك الوجدان بدلاً من ان تقصيه عنه .

وان انسَ فلن انسى زيارتي له وهو على سرير مرضه تمضه اشد الاوجاع ومع ذلك كانت سمات الارتياح والاطمئنان بادية على محيّاه الذي لم ينتزع طلاقته منتزع لانه كان يحيا في ابدية الانسان الذي خدم ربه باستقامة وبدون تهاون وانتظر مشاهدته التي لا نهاية لها

ه .

لئن تصفحنا فهرست ما كتبه الاب ارملة لاستولت علينا الدهشة للعمل العظيم الذي جاء به ذلك العلامة الصامت الرزين . واذ كان مؤرخاً لامته ولبعض الاسر والاشخاص الذين اشتهروا بعلمهم وحسن سلوكهم وفضلهم على الامة السريانية ، واذ كان لاهوتياً بارعاً وعالماً لغوياً لم يستعص عليه حلّ مشكلة عويصة بدون ان يجد لها حلاً يذلل صعوبتها في لغته السريانية ، واذ كان عالماً يوضح صحة العقائد الدينية ، واذ كان محامياً عن الحقيقة مخلصاً فقد اظهر في جميع ميادين اعماله العلمية هذه مقدرة لا تفاوت فيها ، ولقد اتصل بي أنه كان يحسن الكتابة بكلتا يديه ، فرأيت في هذه السهولة رمزاً الى انشغافه بالتأليف

ورمزاً ليضع في خدمة الحقيقة قلمه وعلمه لانه رأى ان اليد الواحدة لا تكفيه وحدها لذلك . . .

وما اكثر ما خطه يراع المرحوم الاب ارملة. اما اذا المعت الى ما نشره في المشرق فلا يسعني الا ان امتدح، فضلاً عن تعدد موضوعاته، المقدرة التي كان يقبض بها على ناصيتها قبضاً كان اذا عالج معه احدها فصل في خطته لحدته . اما اذا رأيناه يكثر من الاستناد الى الاستشهاد ولا سيما الاستشهاد، المستمد من المصادر السريانية، فلأنه كان واثقاً بان الخطى التي كان يخطوها مؤدية به الى الحقيقة التي نذر نفسه ان يكون خادمها الامين .

وكتابات الاب ارملة التي يسودها الروح التاريخية كان لا يُبدي فيها رأياً بدون ان يسنده الى الشواهد ويرجعه الى المصادر التي عرف منها بموجب طريقته الدقيقة التي يقتضيها التاريخ .

وما عدا هذه المقالات التي اتحدث عنها ثمة غيرها في مستوى جمهور اكبر لان الاب ارملة كان يريد ابلاغ الحقيقة التي استهوته وتعطش اليها . اما مؤلفاته التي تعدّ مآثر حقيقية ومفخرة للامة السريانية التي خدمها بتجرد واخلاص فاني لا اودّ الالماع الا الى اثنين منها كانا ايضاحين لمنهجه يكفيان للحكم له او عليه ، وهما تاريخ دير الشرفة وعقيدة الرياسة البابوية بحسب اقوال المؤلفين السريان. اما طريقته فانه لم يكن يحبّ الاسهاب في التوسّع النظري بل كان يقدّس الواقع والضبط في التفصيل والمعنى اللذين يماشيان الزمان والمكان .

ولئن اوضح الاب ارملة العقائد الدينية فاننا لنشعر به انه اضحى في المناضلة عن تلك العقائد رجلاً غير ما هو عليه عادةً، ولاسيما عندما يناضل عن الدين القويم ضد بعض تهجمات اليعقوبيين . وانني اود ان اتحدث خاصة عن مؤلفه « كتاب الرجعة » الذي خاصم فيه ذلك الذي كان له ان يصبح يوماً رئيس طائفة السريان الارثوذكس، غبطة البطريرك برصوم، فناقشه الحساب .

وان اذكر فاني لذاكر تلك الحملة الشعواء بصدد زنار العذراء في جريدة البرق البيروتية . ولم تكن حملة بدون اساس . فكان يطيب للاب ارملة ان يلاحق خصمه حتى في عقر داره محاولاً ان يحمله على مناقضة نفسه بنفسه وان يبيّن له النصوص التي لم يحسن قراءتها والذرائع التي فسّرها تفسيراً

خاطئاً . تما لقته فكنا نحسّها من الموضوع الذي كان يعالجه، فهي واضحة في بيانه وتاريخيّة بحث لتصبح شديدة الاسر وحتى حادّة اللهجة في الخصام . وانه لم يُزرج قطّ عن حدود اللياقة في كتاباته . ولذلك كان لا بدّ لكل خصم من التفكير الطويل قبل ان يقيس نفسه بذلك العالم الوضع الذي كان ينشب كالاسد للقتال وللذود عن العلم الصحيح والعقيدة الصادقة .

ومن الاسباب التي مكّنت للاب ارملة ان يصل الى تلك الدقة اشتغاله الطويل في ميادين لها اهميّتها الرئيسية في سبيل الوصول الى منهج علمي وان لم تكن ذات رهجة . فاني اتكلّم عن الفهرست الذي وضعه لمخطوطات دير الشرفة وترى فيه طول اناة الباحث ذي العلم الواسع (وكنا هنا نودّ ان يكون ابلغ ضبطاً ، بيد انه لن يقدّر لاحد من المرة الاولى ان يصل الى اتقان احد المناهج) .

واذا لم اتحدّث بعد عن الترجمات الكبيرة الاهمية التي عاناها الاب ارملة فلأن تاريخ الازمنة لابن العبري الذي ننشره على صفحات هذه المجلة كافٍ ليبيّن لنا قيمة لغته وصفاء ترجمته . وانّنا لنستميح القرّاء بان نطيل الكلام حول مؤلف يكاد يطويه الصمت وذلك لكي لا نتكلّم عن غيره . فان لغته فيها واضحة عادة، ولكنها تصبح مفعمة برغبته في ان يحاكي النص الاصلي ، وما ذلك الّا لأنه كان المترجم الماهر الذي كان انشاؤه ينطبق تماماً على فكرة المؤلف وتصوّراته :

ج

لقد اردت ان ابيّن بصورة عامّة نفسية ذلك العلّامة الذي طواه الردى . ولماذا نسكت في مثل هذا المقام عن المؤلفات التي كان اعدّها للطبع ولم يستطع لسبب من الاسباب ان ينشرها . فثمّة اثنا عشر مؤلفاً وكلّها ذات قيمة، من بينها تاريخ الدول الارامية السريانية وتاريخ الكنيسة السريانية واخر على القداس وغيرها كتب اخرى لها اهميّتها ولا مجال لذكرها هنا .

ويشوقني ان المع الى فقط الى غزارة معارفه في اللغة السريانية والخدمات التي استطاع ان يسديها بسبب ذلك لأنه لم يكن يفوته منها سر من اسرارها وكان يحبّ ان يجد آثارها في اللغات الاخرى او في المؤلفات الدينيّة المدوّنة باللغة العربية .

ولقد تمكّن من الوصول الى بيان التأثير العريق في القدم وهو التأثير الذي احدثته هذه اللغة في تكوين اللغة العربية وتكوين المفكّرين الدينيين والفلاسفة الذين كتبوا بالعربية .

٥

ليس بمقدوري ان اختم حديثي هذا بدون ان أرويَ هنا حادثة شخصية . فقد وضع الاب ارملة كتابه بصدد القديس افرام ورفعه بواسطة سيادة المطران حيقاري الى الحبر الاعظم الذي تلقى منه كلمة تقريظ بليغة على مزايا تنظيم الكتاب وعلم المؤلف اللذين دلّ عليهما. ولقد جئته بعد ذلك طالباً اليه مقالاً حول عقيدة الحبل بلا دنس عند الطائفة السريانية فبشّ لي مرتاحاً فشكرته فقال لي فورًا : من واجبي انا ان اشكرك لانك افسحت امامي المجال لاتكلم على العذراء. كلاماً لن ارى اعذب منه على قلبي لذلك ستكون مقالتي هذه خير ما استطعت ان اكتبه طوال ايام حياتي لاني اكتبها لتمجيد امي العذراء. فانا اتمنى ان اودع هذا المقال كل محبتي البنويّة لمريم .

ولقد كان ذلك العلّامة مسيحياً حقيقيًا وكاهناً بكل ما لهذه الكلمة من معنى . واذا كان صحيحاً ان الكثير من العلم يدنينا من الله والقليل منه يبعدنا عنه فيسعنا القول اذاً ان الاب ارملة قد لقي بعلمه الغزير طريقاً الى الله الذي اراد ان يخدمه طوال ايام حياته .

التآليف التي وفّقته العناية الربانية ان ينشرها بالطبع وهذه لائحتها :

١ رغبة الاحداث : في جزئين .
٢ الزهرة الزكيّة في البطريركية السريانية الانطاكية .
٣ الزجمة في تنفيذ « كلمة انتقادية » .
٤ اديار ماردين القديمة ودير مار افرام .
٥ سياحة في طور عبدين سنة ١٩١٣ .
٦ التذكار الحسيني لوفاة السيد اغناطيوس انطون سمحيري .
٧ القصارى في نكبات النصارى .
٨ طرفة من اخبار دير الشرفة .
٩ اليونان وكتبة السريان .
١٠ الاصول الابتدائية في نحو اللغة السريانية في جزئين .
١١ سلسلة بطاركة السريان الانطاكيين .
١٢ انباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان .
١٣ بحث تاريخي عن السريان في القطر المصري .
١٤ القنصلية الفرنساوية والطائفة السريانية في بغداد
١٥ الحروب الصليبية في الآثار السريانية .
١٦ رسائل بركيلو ويزشناقو وداود بين ربان « في السريانية » .

١٧ سلوى الراقدين في امثال ماردين .
١٨ التكريمات المريمية في الكنيسة السريانية .
١٩ لمة في المنظومات والاغاني السريانية .
٢٠ لوعة القاصي والداني على البطريرك اغناطيوس افرام رحماني .
٢١ البطريرك الجديد – مار اغناطيوس جبرائيل الاول تبوني .
٢٢ فرنسيس شيحا واخبار اسرته السريانية .
٢٣ السريان في قبرس .
٢٤ الرئاسة البابوية في الكنيسة السريانية .
٢٥ الرتب الكهنوتية في الطائفتين المارونية والسريانية .
٢٦ خراب اليلون (معرب عن السريانية) .
٢٧ الرهبنة البندكتية في فلسطين .
٢٨ اجمل زهرة في حديقة ال « مبرا » .
٢٩ رحلة المونسنيور فرنسيس بيطت الى بلاد ارمينيا والعجم .
٣٠ الملك اللبناني الامير بشير الشهابي الثاني .
٣١ وثائق خطية في علاقة ال طرازي بالملة السريانية .
٣٢ فهرس مخطوطات دير الشرفة .
٣٣ الملكيون – بطريركيتهم الانطاكية .
ولغتهم الوطنية والطقسية
٣٤ القرى السريانية في لبنان وسوريا والجليل .
٣٥ اثار فرنسا ومآثرها في لبنان وسوريا .
٣٦ مار يعقوب السروجي الملفان – بحث انتقادي تاريخي ديني .
٣٧ نصارى غسان والسريان .
٣٨ اسرة ال طرازي .
٣٩ تاريخ ديرسيدة النجاة اي دير الشرفة .
٤٠ خلاصة اخبار القديس يوحنا بسكو .
٤١ خادم الرب الامين الخوري افرام احمر دقته .
٤٢ ترجمة ابن العبري تاريخ الكنيسة .
٤٣ مار افرام السرياني .
٤٤ تنقيح وطبع الكتاب المقدس بالنيابة عن مطران جنان قليان .
٤٥ الحق مغتصبة .
٤٦ الطوباوي دومنيك سافيو .
٤٧ تاريخ ابن العبري (المشرق) .
٤٨ ترجمة الاناجيل (الاربعة) عن (الفشيطة) نسختين .
٤٩ مار افرام السرياني ملفان الكنيسة الجامعة .
٥٠ مقال عن العذراء في المشرق .

الكتب التي صنّفها ولم يتيسّر له نشرها بالطبع :

١ تاريخ الدول الارامية السريانية في نحو ٥٠٠ صفحة .
٢ تاريخ الكنيسة السريانية .
٣ القداس السرياني في ٣٠٠ صفحة .
٤ كتاب ضخم بالتراتيل للعذراء وبعض زيارات القربان .
٥ ترجمة حسابات الصوم الاربعيني واسبوع الالام .
٦ مختصر اخبار العهد العتيق في السريانية (مصوّر) .
٧ حقائق تاريخية عن اسرة شيحا السريانية .
٨ لمحة تاريخية عن اسرة هندي الحلبية .
٩ عقد اللآل في شجرة آل فتّال .
١٠ ال ابرهيمشاه في التاريخ .
١١ سيرة القديس بوليان الشيخ صاحب القرينين
١٢ عقد اللآل في شجرة ال كفوري .

هذا عدا مقالات نشرها في مجلة المشرق وفي البشير وفي مجلة الآثار الشرقية مجلة الحب والسلام ورسالة المثال ورسالة قلب يسوع الاقدس الخ .

مؤتمر المستشرقين الدولي الثالث والعشرون

بقلم الاب ا. عبده خليفه اليسوعي

عقب انتهاء مؤتمر المستشرقين الدولي الثاني والعشرين الذي انعقد في اسطنبول سنة ١٩٥١، تقرر عقد المؤتمر التالي في مدينة كمبريدج الجامعية المتسعة الارجاء لاستيعاب الذين دعتهم الجمعية الملكية الاسيوية من الباحثين في العلوم المشرقية كدراسة عصور ما قبل التاريخ والدينين المسيحي والاسلامي .

وكان لا بدّ من مدينة كمبريدج الهادئة الصافية الاديم القائمة في قلب اخضرار سندسي ويشقّها نهر كام « Cam » الكبير من ان تستأنف في الحادي والعشرين من آب الماضي لا حياتها فقط بل من ان تعود اشدّ صخباً واعظم حركة لان عدد المشتركين بالمؤتمر كان بين تسعمئة او الف شخص .

وشهدنا في هذه المدينة الجامعية اوروبيين واميركيين واسيويين كانت بينهم البعثة الروسية التي لم يكن عددها بالقليل ، كما رأينا بعثتي الشرق الاقصى وافريقية . وسمعنا لغات عديدة ووقع منا النظر — الى جانب اللحى البيضاء — على فتيان وشبان من المستشرقين الذين اثاروا اهتمامنا بحيويتهم واتساع نظرهم بعد ان جاءوا يشقّون طرقات جديدة في الاستشراق او يتممون التقاليد السابقة في اتجاهها نفسه .

وضمت جلسة افتتاح المؤتمر التي انعقدت في مجلس شيوخ مدينة كمبريدج جميع الموفدين اليه ، وبعد ان سلّم رئيس المؤتمر السابق السيد ز. ف. توكان (Z. V. Togan) صلاحياته الى خلفه السيد رالف تُرنر (Ralph Turner) رحّب الرئيس بجميع العلماء الذين اقبلوا الى المؤتمر ليستأنفوا اتصالاتهم وينجزوا معاً نتيجة اعمالهم . وما كان من رئيس البعثة الروسية الّا ان وقف وخطب بالجمهور ، دالّاً بذلك على وجود روسية وبعثتها في المؤتمر مما ادهش الانكليز اذ انهم لم يكونوا بانتظارهم . وكان مسك الختام لجلالة الملكة اذ تُليت على الحاضرين برقية ملوكية تهنئهم بالمجيء وتتمنى لهم النجاح .

واذ كان قد مرّ ثلاث سنوات على انعقاد المؤتمر السابق كان لا بدّ من تجديد اواصر الصداقة والعمل على تعزيزها طوال مدّة المؤتمر الحالي وذلك بسبب تقسيم رجاله الى فرق فرق مؤلفة كلّ منها من مئتين او ثلاثمئة شخص ، اقامت كلّ منها في كليّة من كليّات كمبريدج بحيث اتيح لنا ان يرى بعضنا بعضاً في معظم اوقاتنا نتحدّث في شتّى الموضوعات التي هي من اختصاص احدهم او غيره . فكنا ننتقل من الدراسة اللغويّة الى الصوفية الاسلامية فإلى مختلف الفروع المتصلة ببلاد الحبشة في تطوّرها فالى الادب الاسلامي الخ ..

ولمّا كان اليوم التالي لافتتاح المؤتمر يوم احد وهو عطلة ، هرع المؤتمرون الى التعرّف الى المدينة قبل ان يضطرّوا للانشغال باجتماعاتهم. فكنّا نراهم يطوفون شوارعها محدّقين بكلّ جديد فيها . فزاروا كنائسها القديمة التي حوّلها البروتستنت الى معابد كما زاروا متاحف كمبريدج ومفاخرها من المعاهد . ويوم الاثنين التالي ، وعند الساعة الثامنة والدقيقة الثلاثين ، بدأت اجتماعات المؤتمر العمليّة لتستمرّ حتى يوم الجمعة ؛

ومن اشهر اسماء الذين كانوا في فرع دراسة الآثار المصريّة القديمة اسم ب. مونته (P. Montet) وكونتز (C. Kuentz) وا. بدوي وب. ه. ستريكر (B. H. Stricker) وج. لكلان (J. Leclant) الذين استردت مصر القديمة حياتها في محاضراتهم ، فنرى كيف تعيد الكتابات الاثرية الحياة لبناء قديم سكتت عنه الايام الغابرة فيرقص امامك ضاحكاً فتيّاً .

ودراسة معجمية الالفاظ احتفظ بها لفرقة الدراسات السامية التي كانت ضماناً لنجاحها شهرة ألبرايت (Albright) ودوڤيليه (Dauvillier) (الذي لم يستطع حضور المؤتمر) والعالمين ريكمنس (Rykmans) وميلاس فيليكروزا وكريمر (Kreamer) (وهو المستشرق الفتى المفعم حيوية واقتداراً) وه. فلايش (H. Fleisch) ولسلو (Leslau) (الذي لم يتمكن من الحضور) وموسكاتي . ولقد اجتذب هذا الفرع من الدراسات عدداً كبيراً اليه فكانت مناقشاته متتالية. وكنّا نشهد مبلغ الحماسة في صدور المستشرقين لدراسة تأصيل الالفاظ العربية سواء أكان ذلك من حيث تطوّر المباني ام من حيث المقارنة التي ينبغي اقامتها بين مختلف اللغات السامية . فعرض الاستاذ كرير المعنّى بدراسة

شتى معجميات الالفاظ دراسة على مجموعها سيطلع على ملخصها قرّاء المشرق في اعدادنا القريبة . اما دراسات المستشرقين ريكمنس ذوي الاطلاع الواسع الدقيق لنقوش سابا الحجرية القديمة المكتشفة سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ فكان لها وقع شديد في نفوسنا . وتكلّم المستشرق هـ. فليش على لهجة معاصر بيت الدين اللبنانية .

ولقد دلّت جميع هذه الدراسات على رغبة شديدة في التنقيب .

اما الفريق الذي عُني بدراسة الآثار الآشورية القديمة ودارسي ايران وارمينيا فقد كان اقبال المستمعين عظيماً عليهم بسبب شهرة الاختصاصيين شيفر (Scheaffer) ومينورسكي (Minorski) واحمد اتش (A. Ateš) .

وجعلت البعثة السوفياتية زهيجة لفرع الدراسات الالتائية (لغة سكان سلسلة جبال التاي في آسيا الوسطى) بيد اننا كنا نحسّ التحيّز في مآتيهم لانهم اوّلوا التاريخ وفق ارائهم وبحسب التطوّر التاريخي الديالكتيكي . وقد برهنوا عن تعصّب فكري اذ كان في رأيهم ان على التاريخ والحوادث التاريخية ان توضع لتأويلهم . فلم ينجحوا . اما بحوثهم فكانت باللغة الروسية ومع ذلك كان بالاستطاعة متابعة افكارها الرئيسية في ترجماتها الانكليزية التي وزعت بسخاء على المؤتمرين الذين رغبوا في الاطلاع عليها . امّا ما تصدوا اليه من معلومات فكان بادي التحيّز وتامّاً ، كما قدّمنا ، على اعتباطية فلسفية ، مما جعل معلوماتهم تفقد شيئاً من قيمتها العلمية .

امّا فرع دراسات اللغة التركية القديمة فكانت شهرة المستشرقين تشنر (Teaschner) وتوكان (Togan) ودني (Deny) ضماناً حقيقياً لانجاحها . اما الموضوعات التي عُولجت في هذا الفرع فكانت تاريخية بوجه اخصّ . بينما فرعا الهند والشرق الاقصى تناولا البحوث التاريخية وعلم الآثار والدين والرياضيات وكثيراً من الموضوعات الاخرى . وكان الحاضرون يبدون الاسترسال في المناقشات والاستزادة من اشباعها اذ اثيرت فيها القضايا والعلاقات والصلات الثقافية الرئيسية حول تطوّر الفكر الانساني فتناولت السنسكريتية وبوذا وامر الخلاص والتجدّد في الادب الياباني الخ. وهي مظاهر مختلفة تقتضي بها كفاءة مشتركة وبحوث دقيقة الى نتيجة حسنة .

وطوال مدة المؤتمر قد لفت انتباهنا الفرع الاسلامي الذي ساهمنا فيه وكان منقسماً الى قسمين : الاول للعناية بالادب اجمالاً والثاني بالتاريخ والدين . اما الاعمال جميعها فسادها النظام واما المباحثات فكانت مثمرة .

والذي افضى الى نجاح هذا الفرع نجاحاً باهراً هو شهرة الاختصاصيين خلف الله (Khalafallah) وكوبتر وصلاح المنجد وتيراس وڤيت (Wiet) وروزنتال (Rosenthol) وغبريالي (Gabrieli) وفون كرنبوم (Von Grunebaum) وماسه (Massé) وماسينيون وكارده (Gardet) وسارنلي (Sarnelli) وزباده وادريس وبلسنر (Plessner) . ولا يفوتنا هنا ان نشير الى عدد المستشرقين الالمان الذين كانوا محطاً للانظار لنذكر من بينهم ديتريش (Dietrich) وبارت (Paret) وغيرهما . اما الموضوعات التي عالجوها فتناولت جميع فروع العلوم الاسلامية ، كعلم الآثار وقصر الحمراء في غرناطة والشعر وتصوف ابن العربي والمحاسبي ودراسة اللهجات وتاريخ المدن والاقوام والفن . وعُني المستشرق روزنتال ببحث صلات التاريخ بالفلسفة عند ابن خلدون . وعالج المستشرق ماسينيون موضوع العاطفة الدينية بالاستناد الى دور فاطمة في الشيعة .

ولولا ادخل احدهم بعض النيات السياسية في النطاق العلمي لانتهت جميع المباحث على خير ما يرام . فقد اراد بعضهم ان يتداول بالبحث تطور مفهوم « الاسلام » ليقتصر على الكلام من ناحية تأصيل الالفاظ جازماً بحكم خاطئ سلفاً ان التأصيل لم يكن له معنى ولا قيمة دينية في فكرة محمد . فاحتدم الجدل وتعقدت المناقشات . اما الخطيب الذي كان يهودياً فاصرّ خطأً على وجهة نظره مما دعاني الى استئناف النظر في الامر مع المحاضر لكنه ردّد على محاضرته بدون ان يضيف اليها اصلاحاً ولو جزئياً .

ولم تكن المناقشة التي عقبت محاضرة السيد كارده باقل احتداماً . اما الآنسة دالڤرني (D'Alverny) فلم تجد صعوبة في ايضاحها ان لغة المحاضرة قد ضلت منحرفة عن الطريق السوي، اذ ان المحاضر استعمل لغة بعيدة عن كلام فيلسوف من فلاسفة العصور الوسطى وقد بات يجزم بان ابن سينا كان من العقليين الذين لم تتأثر نفسهم بوجهة نظر انسانية ودينية .

وتفادياً عن التطويل اذا شئنا ان نتصدّى لذكر شتّى ضروب الجدل اكتفينا

بالاشارة الى فكرة ذلك الاجتماع العامة الذي التقى فيه عدد كبير من أولي الكفاءات الثقات .

وختاماً نرانا لا مندوحة لنا عن قول كلمة حول الفرعين اللذين عنيا بأمر الشرق المسيحي وافريقيا لاشير الى محاضرة السيدة ن. ف. بيكولفسكايا (N. V. Pigulevskaya) التي حدثتنا عن فقرات من الزبور في اليونانية السريانية والعربية حديثاً شيقاً جداً وان تطلب مزيداً من التنقيب لتقرير قيمته وتحديد فحواه .

فماذا نستنتج ؟

ان الدراسات الاسلامية الشرقية عامة هي بتقدم مستمر . اما الحقول المدونة والحقول التي ما برحت تفتقر الى التدوين فما زالت واسعة جداً الاتساع مما نرغب معه بان يتفرغ عدد كبير من الاختصاصين لسد هذه الثلمة .

واذا قصرنا كلامنا على النطاق الاسلامي وحده فلان ثمة مخطوطات عديدة ومؤلفات لكبار العلماء ما برحت مفقودة ولم تنشره لكننا متى رأينا علم الهيآت الاشعري يصدر ومعه تفسير مكين وعرفنا ان هناك مؤلفات اخرى اخذ المستشرقون يتأهبون لاصدارها فمن الواضح اننا سنكون شديدي الاغتباط بمجرد تفكيرنا بان ميدان المجهول يتضاءل في هذه النواحي . ومع ذلك فان هذا لن يكفي واننا من الواجب ان نقوى على ولوج بعض النقاط التي ما برحت بعيدة المنال لنخرج بثروة منها الثروات التي تخول الباحثين ان يطلعوا غيرهم على جوهر المعضلات الحقيقية ، اذ علينا ان نؤمن مسبقاً بفائدة مثل هذه المآتي وان لم يكن الا لتقدم الفكر الانساني .

تعريف عن الكتب

J. Spencer Trimingham. *Islam in Ethiopia.* XVI — 300 pp. in 8° avec 2 cartes h.-t. et un index Oxford University Press. Londres, 1952. Prix 25 sh. net, chez Geoffrey Cumberlege, Amen House. Warwick Sq. London E. C. 4.

ليس هذا الاثر الّا القسم الثاني من دراسة وصفيّة للاسلام في افريقيـة بدأت بدراسته في السودان ، أمّا كلمة ايتوبيا فتعني هنا جميع القسم الجغرافي الذي تقع فيه مناطق امبراطورية منليك واريتريا ومناطق الصومـال الثلاث لا مملكة الحبشة المسيحية وحدها .

ولقد كانت منطقة الجبال الايتوبية المرتفعة مع ساحل البحر المتوسط احدى المناطق النادرة من افريقيا التي كوّنها اقليمها صالحة لانتشار الحضارة فيها .

ومن نكد الدهر ان البيد والصحاري السودانية قد سدّت المنافـذ امام دخول الحضارات المصرية والفينيقية والاغريقيـة ... فلم تستطع ايتوبيا ان تتلقّى في شمالها منذ اوّل القرون الوسطى قبـل التاريخ المسيحي الّا مؤثرات جوالي اليمن السامية ، ولقد افضت هذه المؤثرات في ناحيتي البحر الاحمر الى حضارة مشتركة توطّدت بعد ذلك في وحدة الدين المسيحي . ومنـذ القرن السابع الميلادي اصبح الاسلام عامل التوحيـد الروحي بكل الشرق الادنى وافريقية الشمالية . فاوجد هذا النهج الجديد تصدّعاً فصل الحبشان عن العرب فصلاً تامّاً كما فصلت اعماق البحر الاحمر الطبقات الجيولوجية من جهة الى جهة.

وما جاءت الحضارتان اولا متناقضتين ، فان المسيحيّة الحبشيّة في ايتوبيـا الشماليّة قد انتشرت طوال العهد الذي تستطيع ان تسمّيه العهد السابق للتاريخ في الجبال وضمّت اليها جميع حبش الاغاوو — الحامي « agao - hamitique » .

وفي غضون القرون نفسها ، بسط العرب نفوذهم على جميع الساحل الافريقي الشرقي ولقد ساعد هذا الانتشار الافتقار الذي كان يحسّ به السكان الافريقيون الى تفتّح عقليتهم اللّامبالية التي ارعبتها عادات الطبيعة الوثنية تفتّحاً ضمن شعور المجتمع الاسلامي المتوّي القائم فوق اعتبارات الاجناس والاقاليم وحاجتهم الى

مستوى ادبي سهل . وتلك الاوضاع كانت ملائمة ايضاً لاكتساب الشعوب الزنجية التي هي من اصل حامي ، لان تقلص الحياة البدوية قد تطلب بقوة من ذلك العهد نفسه رابطة دينية تقوم على قاعدة حضرية على شاكلة رابطة الاسلام ليتمّ تطوره نحو دور التحضر والزراعي والحياة في المدن .

والحبشة المسيحية التي كانت مطوّقة من كل جانب كان عليها ان تعتنق الاسلام امّا فجأة عقب فتح عنوة ، وامّا على ممرّ القرون على أثر تغلغل بطيء. وذلك منذ الساعة التي وقفت فيها الحضارة الاسلامية – الحامية فوقعت قدمها في حصن الجبال العالية ، ولم يعد يسع احد ان يوقف انتشار الاسلام في جميع القارة السوداء مبتلعاً الفرع الثاني من العرق الحامي الذي صادف فيه دعاته الاقوياء على شاكلة دعاته في السودان وافريقية الشمالية .

ولقد حوّل الاحابيش المحصورون في حصنهم الطبيعي نشاط توسّعهم الى المقاومة ، بيد ان مستواهم الثقافي والروحي الذي ردّهم اليه انعزالهم لم يمكنهم من معارضة ذلك « الاختيار » الذي فُرض عليهم على حين غرّة على شاكلة فرضه على اوربة حيال الاسلام . وتركت صدمة الانتصار الاسلامي في القرن السادس عشر ومن بعده غزوة الغالاس « Gallas » الهدّامة قوى الشعب الباطنية بدون ردّات فعل ومنهكة . والمسيحية الحبشية المنحصرة في «ارثوذكسيتها» عنوان استقلالها وايمانها ، لم تقوَ الا على ان تكون ضعيفة النموّ في مصافّ شكل دين قبلي اعلى . فكانت الجزيرة صغيرة في وسط خضم اسلامي يحيط بها من كل جانب – فان الخريطة رقم ٦ تبين ذلك بياناً باعثاً على الاسى – امّا محاولة الآباء اليسوعيين في عهد النهضة ليحملوا دماً جديداً الى الاحابيش فلم توفق لانهم كان يعوزهم ان يعاشروا نفسيّتهم فلذلك لم يتأتّ لها ان تكون ناجعة في معالجتهم من كانوا يشكون من فقر بالدم .

وعلى كل فان الحبشة قد غيّرت وجه تاريخ افريقية بمقاومتها . وكانت مسيحيتها الصخرة التي تكسّرت دونها امواج الانتشار الاسلامي الوافدة من شبه الجزيرة العربية من جهة ومن الساحل الافريقي الشرقي ووادي النيل من جهة اخرى .

واذ استنزف الاسلام قواه على تلك الصورة لم يبقَ بمقدوره التمركز لا على

جبال الحبشة ولا على الساحل الشرقي بقوة سياسية راسخة دائمة يكون تأثيرها ومقدرتها قاعدة لينتشر منها صوب قلب القارة ويتمكن من تحقيق وحدة افريقية تحت رايته ، فان مقاومة الحبشان للضغط الوافد من جهة وادي النيل ومن افريقيا الشرقية قد وفرت الوقت لدخول دين آخر نشيط الا هو دين المسيحية الغربية الذي تفوق بسرعة على الاسلام الوافد بجماعته من الاقليم الحار وتصدّ انتشاره .

ولو عرف اقدام مجهود المرسل المسيحي وقوته منذ مئات السنين الاخيرة ان يتخلّى مما هو غربي محض ولا يكوّن جزءاً من تقاليده الدينية ، لكان باستطاعة المسيحية على رغم نجاح الاسلام في الشمال الافريقي والسودان ان تكتسب النفس الافريقية ، ولصارت القوة الموحدة لافريقية الجنوبية والوسطى ، وذلك ما هو مدينة به لبطولة المسيحية الحبشية العريقة الوفية .

هذه هي النظرة الاجمالية التي اتحفنا بها الكتاب الرائع الذي وضعه المؤلف سبنسر ترينغهام وجاء بها في مقدمته التي تبين الى اي مبلغ لا ينفصل تاريخ الحبشة وتاريخ كنيستها الجليلة الوطنية عن دراسة تاريخ الاسلام جميعه في ايتوبيا وعن منظماته وجمعياته على مختلف جماعاته القبلية والدينية وسيكون هذا المؤلف ، الذي لم ينحصر في حدود عنوانه ، دراسة بالواقع للاوضاع التاريخية والجنسية والجغرافية وللتفاعل الذي تم في خلال قرون عدة لقيام المسيحية والاسلام في هذه المناطق .

وفضلا لما لهذا المؤلف من قيمة بالنظر الى الاضواء التي يلقيها على تاريخ الكنيسة في ايتوبيا ونفسية الحبشان بدراسته للاسلام فانه لذو فائدة لا يستغني عنها جميعا .

هنري شارل

فهارس المشرق

للسنة الثامنة والاربعين

١٩٥٤

فهرس اول

لمواد اعداد السنة الثامنة والاربعين من مجلة المشرق ١٩٥٤

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الثامنة والاربعين للمشرق

على ترتيب اسماء مؤلفيها

١ – الكتب الشرقية

٢ — مطبوعات اوروبية

F

G

H

J

K

L

M

N

P

R

S

T

W

فهرس رابع

لجميع مواد السنة الثامنة والاربعين لمجلة المشرق

على طريقة حروف المعجم

ا

ب

ت

ح

اصلاح بعض اغلاط وقعت في المشرق

ص	سطر	خطأ	صواب
٣٦	٢٣	لحبّ	لحبّ
١٥٩	١	احبُّ	احبَّ
١٥٩ حاشية	٤	الشيخ	الشيخ
١٦١	٢٦	بإغلاق	بأغلاق
١٦٢	١٧	شموس قوم	شموسِ قومٍ
١٦٣	٦	النذيرُ	النذيرَ
١٦٣	٩	جانبك	جنابك
١٦٥	١٤	خطاب	خطّابِ
١٦٧	٢١	افه له	افعاله
١٦٧	٢٥	احببتُ	احببتَ
١٦٨	١٧	الأيَّةَ	الأيَّةُ
١٧٠	٢	عليّ الله راتبه	علّى الله راتبه
١٧٠	٣٠	الغباسات	القياسات
١٧١	٤	الهوى	الهواء
١٧٢	١٧	والنزء	وازاء
١٧٣	١٠	عبارة	اصلح الغاء
١٧٥	٣	ذك	ذلك
١٧٧	٥	ضدين	ضدان
١٧٨	٣٠	اثل	اقل
١٨٤	١٣	تقتطفهُ	تقتطفهُ
١٨٦	٩	فصبت قراءته	قصبت قراءته
١٨٧	٥	الدرس النفساني	النفسيّ
١٨٧	١٧	عند اذاك	عند اذ ذاك

ص	سطر	خطأ	صواب
١٨٨	٩	ليلةٍ	ليلةٌ
١٩٠	١١	الخنت	الخنث
١٩١	١٤	ادنا	ادنى
١٩٣	١٠	بكثرة	بكثرة
١٩٦	١١	ينمون	بنمون
١٩٧	١٤	بالقانبكان	بالقانيكان
١٩٧	١٥	بصدد البحث	البحث
١٩٧	٢٦	بخاصة	خاصّة
٣٩٨	٣	الثرى	الثرا (الثراء)
٣٩٩	٣	مستحضرا	مستضرا
٤٠٤	٧	لاقيتِ	لاقيتُ
٤١١	٢٠	ينضى الظبا	ينضو الظُبى
٤١٧	١	ابن	اين